جيل التغيير

واقع الشباب العربي بين التطلعات والتحديات

بدعم من :اليونيسف

يونيسف

AUB 1866

ISSAM FARES INSTITUTE
FOR PUBLIC POLICY
AND INTERNATIONAL AFFAIRS

جيـــــل التـــغيـــير

واقع الشباب العربي

بين التطلعات والتحديات

الجامعة الأمريكية في بيروت
معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية

نَشَرَ معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية، الجامعة الأمريكية في بيروت، هذا التقرير في عام ٢٠١١.

يُمكن الحصول على هذا الكتاب من الموقع الإلكتروني لمعهدعصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية: www.aub.edu.lb/ifi

بيروت، نوفمبر ٢٠١١

حقوق الطبع © ٢٠١١ محفوظة لمعهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية،
الجامعة الأمريكية في بيروت.
جميع الحقوق محفوظة.

يُمثّل النّصُّ والتعليقاتُ الواردة في هذا التقرير وجهات النظر الشخصية للمؤلفين،
وهي لا تعكس بالضرورة مواقف معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية – الجامعة
الأمريكية في بيروت، كما لا تعكس أيضاً مواقف منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسف).

التصميم: أمين موسى
الطباعة: " بيوند آرت آند دِزاين Beyond for Art and Design "
صورة الغلاف : تصميم أمين موسى .

جدول المحتويات

٦ شكر وعرفان

٨ تمهيد

١٠ مقدمة

١٣ الفصل – ١:
هُويّات الشباب وقيمهم

١٦ الفصل – ٢:
مشاركة الشباب المدنية والسياسية

٢٠ الفصل – ٣:
الشباب العربي والتعبير الإعلامي

٢٤ الفصل – ٤:
الاستقلال الذاتي للشباب داخل الأسرة العربية

٢٨ الفصل – ٥:
الفتيات اليافعات

٣١ الفصل – ٦:
الهوية الجنسية للشباب العربي

٣٥ الفصل – ٧:
الهجرة الجماعية للشباب

٤٠ الفصل – ٨:
الشباب في أوضاع العنف والنّزاع المسلّح

٤٥ الفصل – ٩:
السياسات الوطنية للشباب في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا

شـــكر وعرفـــان

فَوّضَ معهدُ عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية في الجامعة الأمريكية في بيروت، بدعم من المكتب الإقليمي لمنظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسف) بمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، العديدَ من المؤسسات والأفراد لإجراء الأبحاث وإعداد هذا التقرير بعنوان: "جيل التغيير : واقع الشباب العربي بين التطلعات والتحديات". وقد تعاونت تلك المؤسسات والأفراد في تلك الجهود، ونزجي لهم جميعاً الشكر الكبير.

المُحرّرون:

رامي ج. خوري، مدير معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية، الجامعة الأمريكية في بيروت.
فيفيان م. لوبيز، مستشار تنمية ومشاركة اليافعين، المكتب الإقليمي لمنظمة الأمم المتحدة للطفولة بمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

المُساهمون:

نتقدّم بالشكر الخاص إلى أولئك الذين أوجدوا هذا المشروع وأشرفوا على قَدْرٍ كبير من عملية تطويره:
جولدا خوري، مستشار إقليمي لشؤون الشباب في المكتب الإقليمي لمنظمة الأمم المتحدة للطفولة بمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، سابقاً.
سيغريد كاغ، المدير الإقليمي للمكتب الإقليمي لمنظمة الأمم المتحدة للطفولة بمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، سابقاً.
ماريلينا فيفياني، نائب المدير الإقليمي للمكتب الإقليمي لمنظمة الأمم المتحدة للطفولة بمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.
ليفْ إيلين إندرايتن، اختصاصي تنمية ومشاركة الشباب، المكتب الإقليمي لمنظمة الأمم المتحدة للطفولة بمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

مُنسّقو البرنامج السابقون والحاليون لمنتدى البحوث والسياسات الخاصة بالشباب في العالم العربي، بمعهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية بالجامعة الأمريكية في بيروت: منيره حبّ الله، وزينه صواف، وساره بيطار.

المتدربون لدى معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية بالجامعة الأمريكية في بيروت: مارك عواد، سايس فولك، و أليجاندرا دي أريستيغو

ونزجي شكرنا وتقديرنا الخاصين إلى الوكالة السويدية للتنمية الدولية، التي أسهمت في إعداد هذا التقرير من خلال دعمها المستمر للبرنامج شبه الإقليمي لدى المكتب الإقليمي لمنظمة الأمم المتحدة للطفولة بمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، بعنوان "الحق في المشاركة: اليافعون وكلاءُ التّغيير الإيجابي".

كذلك نشكر العديد من المؤلّفين والمؤسسات التي شاركت في إنتاج هذا التقرير عن طريق الإسهام بأوراق عمل تناولت الخلفيات، وهم : عبدالقادر الأطرش، عبله رو، أنجيلين نصّار، أنيسه الشريف. ومجموعة عمل الأسر العربية، أيمن زهري، بربارا إبراهيم، بريجيت خوري، مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث، تشارلز حرب، كريستين أسعد، ديانا سنجرمان، دينا شحاته، دريس غويراوي، إيلين قطب، فاطمة علي، غاده برسوم، غريغ غاوسي، جاد شعبان، جاد مالكي، كامل نابلسي، سايس فولك، ماناتا هاشمي، مارك ليفين، ميسون سكّري، محمد خاشاني، مونيا بناني – شريبي، ناصر ياسين، ريما عفيفي، ريما نقاش، ريما صبان، روكساني فارزي، شيرين الفقي، تكوين، سمر دودين، سعاد جوزيف، وعد إبراهيم، شبكة الشباب الباحثين العرب، زافريس تزاناتوس، لوكاس نلسِن، نيكولا بُل، و تيم جاكوبي.

وقد استفاد التقرير كذلك من المشورة التي أسداها والتعليقات القيّمة التي أبداها أفراد ومؤسسات لا تُعَدُّ ولا تُحصى. ونتقدّمُ بالشّكر الخاص لمستحقّيه مِمّن أَثْرَت التّغذيةُ الرّاجعةُ الخبيرةُ، والإسهاماتُ المدروسة التي قدّموها هذا التقرير، إلى حدّ كبير، وهم: عبدالرحمن غندور، فِكتور كارونان، ترِش هِدلِستُن، ملك زعلوك، يوسف البارودي، سميحة بيترسُن، بكر النجار، طارق يوسف، والزملاء من كلية دبي للإدارة الحكوميّة. وتقديرنا موصولٌ أيضاً لمستحقّيه مِمّن قدّموا معلومات فنيّة، من العديد من زملائنا من المكتب الإقليمي لمنظمة الأمم المتحدة للطفولة بمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وهم: شاهدة أظفر، سيزار ڤيلار، جان – نيكولاس بيوز، لورِنت شابيوس، منصف مُعلّا، هاسِمك إجيان، حيدر ناصر، شربل راجي، مايِيكي فان أدرِشم، ماهِندر اشيث، نجوى مكّي، بيير فوركاسي، توماس داڤان، بيير نُعُم، روبرتو بِنس، سمير عانوتي، لويزا ليبي، سارا أحمد، سيدو ديا، و شوبو جلال. وقد كانت مكاتب اليونيسف القُطرية بمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا كلها شريكاً بالغ الأهمية في إنتاج هذا التقرير. وشُكرنا الخاص موصولٌ أيضاً إلى آنا بيراردي، بيسان عبد القادر، و رزان جوعانه. كذلك نزجي شكرنا الخاص إلى السيد أمين موسى على التّصميم الخلاق الذي أعدّه للتقرير، وإلى الشركة الطابعة التي طبعته "بيوند آرت آند دِزاين "Beyond for Art and Design". وأخيراً وليس آخراً، نتقدّم بالشكر إلى عيسى زايد من مركز الساتل للترجمة على نقل هذا التقرير إلى اللغة العربية.

وقد قُمنا بالتّشاور مع الكثير من النّاس والجهات، ابتداءً من الشباب واليافعين، ومروراً بالمسؤولين الحكوميين، وانتهاءً بالمؤسسات ومنظمات المجتمع المدني، الوطنية منها والدولية، طوال فترة إعداد هذا التقرير. وإننا نتقدّم بالشكر الجزيل الواجب إليهم، وإلى أولئك الذين أسهموا بطريقة أو بأخرى في جعل هذا التقرير حقيقةً على أرض الواقع. ونعتذر عن أيّ سَهْوٍ قد بَدَر منّا في إغفال ذِكْر كلّ من ساهم في هذا التقرير.

تمـــهيـــد

© UNICEF Egypt 2011/Dakhakhny

قد يَنظُرُ المؤرّخون إلى الوراء جيّداً يوماً ما ويُدوّنوا ما يفيدُ أنّ التاريخَ الحديث في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، بل وحتى في أنحاء العالم، قد شهد نقطةَ تَحوّل بدأت في كانون الأول / ديسمبر ٢٠١٠؛ وذلك راجعٌ في قَدْرٍ كبيرٍ مِنه إلى المشاعر الوجدانية الجماعية التي جاشت في أذهان مئات الآلاف من الشباب والشّابّات، وإلى النشاطات المُنسّقة التي قاموا بها في خمسة أقطار عربية. وسوف يَتّضِحُ مسارُ هذه التّحوّلات السياسية، والاجتماعية والاقتصادية الراهنة، والنتائجُ التي تتمخّضُ عنها، والتي تتلاطم أمواجها في أرجاء الوطن العربي، على مدى السنوات القادمة. أما في الوقت الحاضر، فإنّنا جميعاً نواجه تحدّيّاً يتمثّل في فهم القوى المُحرّكة للتغييرات البالغة الخطورة التي تأخذ مجراها حالياً، وفهم الأسباب التّحتية التي أطلقت شراراتها. فقد أُطلِقَ العنانُ لطاقات هائلة ومواهب مُذهلة في أرجاء الوطن العربي كافّةً؛ إذ بدأ الكبار الراشدون والشباب، سواءٌ بسواء، بإعادة تشكيل بعض المؤسسات الأساسية لمجتمعاتهم، في ميادين الحوكمة التمثيلية، والتعليم، والأعمال الخاصة، والثقافة والفنون، والسياسة الخارجية، والتنمية الاجتماعية.

ويحاول هذا التقريرُ العمل على الحاجة إلى تحقيق مستوىً من الفهم أفضل لمُحفّزات الحيوية والنشاط التي كانت واضحةً فعلاً في أذهان، وسلوكات الكثير من الشباب العرب ومنظوراتهم العالمية الأفق، ولكنها كانت تتجلّى بصفة أساسية في عوالمهم الخاصة والافتراضية، ولم تكن تتجلّى بَعْدُ في الشارع والفضاءات العامة الأخرى. وكان معهدُ عصام فارس للسياسة العامة والشؤون الدولية بالجامعة الأمريكية في بيروت، قد باشر في عام ٢٠٠٩، بتنفيذ مشروع بحثي يستغرق مدة سنتين، بدعم من المكتب الإقليمي لمنظمة الأمم المتحدة للطفولة "يونيسف" بمنطقة الشرق وشمال أفريقيا، وبمشاركة العشرات من الزملاء من أرجاء المنطقة كافةً ومن العالم – بمن فيهم مجموعة الأمم المتحدة للتنمية الإقليمية، وبخاصة منظمة الأمم المتحدة للسكان – والتي من جانبها اعتمدت محور "الشباب" كأحد الأولويات الإقليمية لدى الأمم المتحدة بمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. لقد هَدَفَ هذا المشروع إلى استكشاف المشاعر الوجدانية، والتّظلمات والطموحات لدى اليافعين والشباب (من الجنسين)، في الفئة العمرية ١٥ – ٢٤ عاماً، في كل أنحاء هذه المنطقة، وذلك بدرجة أكثر عُمقاً، وفي الكثير من القطاعات. وقد كانت تعني هذه المجموعةُ المتنوعة الواسعة من الأعمار، عَبْرَ منطقة تتّصف بتنوّع ظروفها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، أنّ القصد من هذه الدراسة البحثية، أساساً، هو تحديد أهمّ القضايا التي كانت تَهُمُّ حياةَ أولئك اليافعين والشباب العرب، كما شاهده الشباب والكبار كلاهما، الذين شاركوا بصورة حميميّة طيلة حياتهم بصفتهم مربّون، أو باحثون أو ناشطون في المجتمع المدني.

إننا نعتقد بأنّ هذا التقرير يُحدّدُ ويستكشف القضايا البالغة الأهمية التي تُعرّف حياة وذهنية (عقلية) الشباب والشابات في كل أرجاء المنطقة، ويقترحُ المجالات التي تحظى بالأولوية في إجراء المزيد من البحوث عليها، والمزيد من تحليل السياسات، والمزيد من تنفيذ التّدخلات الجديدة. والأهم من ذلك، ربما، هو أنّ التقرير يُساعدُ في تسليط الضوء على التغييرات التي شهدتها السنوات الأخيرة في دواخل الشابات والشباب، والتي بمقتضاها تحرّك هذا الجيل من حالة امتصاص القيود، والإحباطات والنواقص، بصورة هادئة، في كثير من جوانب حياتهم، إلى ظرف باشروا فيه بأعمال تهدف إلى إعادة صياغة حياتهم، وإعادة تعريف مستقبلهم بمزيد من الخياراتٍ والفُرص. فعندما بدأ العمل في هذا التقرير في عام ٢٠٠٩، جرى العمل على استشارة الشباب والباحثين في كلّ ربوع المنطقة لتحقيق قَدْر من الفهم أفضل للقضايا التي تتغلغل في حيات اليافعين والشباب العرب؛ لأنّ جُلّ ما كان يشغل بالهم لم يكن يتجلّى للعيان على الملأ بطريقة واضحة أو ممنهجة. وبعد سنتين ونصف من بدء هذا العمل، باشر اليافعون والشباب بأشكال جديدة من الحِراك السلمي الجماهيري، بدأت تُعيد كتابة التاريخ الحديث للمنطقة. ولا بُدّ للباحثين وراسمي السياسات، على حدٍّ سواء، من أن يُسارعوا الخُطى لمواكبة ما يبذله الشباب العربي من أعمال.

وإننا بحاجة، أكثر من أيّما وقت مضى، إلى معرفة دقيقة وشاملة بالقضايا والمشاعر الوجدانية التي تُعَرّفُ حياة الشباب العربي إذا ما أريد لطاقاتهم الهائلة، ومواهبهم والتزاماتهم بمجتمعاتهم أن تُسخّر بكاملها لحقبة جديدة من بناء دولهم على أساس القيمتين الأساسيتين اللتين يبدو أنّهم يعبّرون عنهما، وهما: تحقيق الإنصاف ومنح الفرصة.

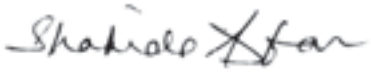

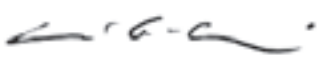

رامي ج. خوري
مدير معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية
الجامعة الأمريكية في بيروت

شاهدة أظفر
المديرة الإقليمية بالنيابة لمنظمة اليونيسف
بمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا

INTRODUCTION

جيل التغيير

واقع الشباب العربي

بين التطلعات والتحديات

يُوفِّرُ فهمُ الطريقة التي يشعر بها النّاشطون من الشباب والشابات حيال حياتهم وأوضاعهم الحالية، في أنحاء منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا كلها، فرصةً للنّظر في كلٍّ من التّحدّيات التي تواجهها المجتمعات العربية في الوقت الحاضر، وفي الثّورات التي وقعت مؤخراً، والتي أخذت تقود التّحولات الاجتماعية والسياسية على المستوى الوطني في العالم العربي. وبهدف تحديد العناصر الأساسية لوجهات نظر الشباب العربي في أنفسهم ومكانهم في المجتمع العربي، ولفهم تلك العناصر على نحو أفضل، فقد باشر، في عام ٢٠٠٩، معهدُ عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية بالجامعة الأمريكية في بيروت، بإقامة شراكة لمدة سنتين تهدف إلى إنتاج وتحديث تحليل مُتطلّع إلى مستقبل وضع الشباب في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وذلك بدعم من المكتب الإقليمي لمنظمة الأمم المتحدة للطفولة بمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

الهدف:

يَهدِفُ هذا التقرير إلى توفير أفكار متعمّقة ذات صلة بتلك الأبعاد المُهمّة من حياة اليافعين والشباب، في الفئة العمرية من ١٥ إلى ٢٤ عاما؛ أي في أبعاد المشاركة المدنية، والمساواة في النوع الاجتماعي (بين الجنسين)، والتّشغيل (خلق الفرص الوظيفية)، والتعليم، من جملة الأبعاد الأخرى غيرها، التي لا يُقِرُّ بها بالقَدْر الكافي صانعو القرارات والجهاتُ الفاعلة الأساسية في المجتمع، والتي تؤثّر تأثيراً مباشراً في رفاه الشباب العربي. كذلك يهدفُ التقريرُ إلى إبلاغ قارئيه وتوعيتهم حسّيّاً بِهَرَم التّحدّيات وانتهاكات الحقوق، التي يواجهها اليافعون (١٠ – ١٩ عاماً) والشباب (١٥ – ٢٤ عاماً) يومياً في أنحاء منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا كافةً، وبالفرص اللازمة للتّصدّي لتلك التّحدّيات والانتهاكات ضمن السّياق الحالي الآخذ في التّطوّر. ويملأ التقرير فراغاً على المستوى الإقليمي في جوانب المعرفة، والمعلومات، ورسم السياسات المبنية على القرائن العلمية والمرتبطة بالشباب في كل أنحاء هذه المنطقة. وقد جرى تناول أوضاع اليافعين والشباب، وظروفهم وعقلياتهم في هذه الدراسة البحثية في أربع فئات عريضة النطاق من الحقوق التي يعتمد بعضها على البعض الآخر، وهي: البقاء، والتنمية، والحماية والمشاركة – وهي الحقوق التي تُبرزها الاتفاقيات والوثائق الحقوقية العالمية الأساسية، ذات العلاقة بالشباب والشابات.

الأسباب:

يُعتبرُ فهمُ الخيارات التي يصنعها اليافعون والشباب العرب في حياتهم، وفهمُ كيفية تأثير هذه الخيارات على مجتمعاتهم داخل المنطقة وفيما وراءَها، خطوةً أولى أساسيةً لخلق بيئة حمائية وداعمة لهذا الجيل من اليافعين والشباب. فإنْ لم يُسهم الشبابُ، بطريقة ذات معنىً، في صياغة السياسات العامة التي تؤثّر في حياتهم في الحاضر والمستقبل، من المحتمل أنْ يُنفّذ راسمو السياسات "الأجندات الخاصة بالشباب"، والتي لا تتصدّى بدقّة للهموم والحاجات الحقيقية لحياة اليافعين والشباب.

الموضوع:

يَدْرُسُ التقريرُ حالة الشباب في العالم العربي[1] من خلال منظورات عديدة تهدف إلى ما يلي:

١) استكشاف آراء وتوجّهات اليافعين والشباب العرب، وتبيان وجهات نظرهم في مجموعة متنوّعة عريضة النطاق من الموضوعات.

٢) تحليل دوافع الشباب والشابات، وهمومهم وتوقّعاتهم، بما في ذلك في المجالات الحسّاسة، مثل الاستقلال الذّاتي، والحقوق السّياسية والنشاط الجنسي، التي لم تحظَ بقَدْرٍ كافٍ من الدراسات في المجتمعات العربية.

٣) تحديد الأولويات البحثية لدعم المزيد من تنمية المعارف ومناصرة السياسات المؤيّدة للشباب.

تُشيرُ الاستنتاجاتُ التي تَوصّل إليها التقرير إلى عدد من القيود، وحالات انعدام الإنصاف التي واجهها ويواجهها اليافعون والشباب على مدى عدّة سنوات، والتي كانت وما تزال الحافزَ الذي دفع باتجاه انطلاق الانتفاضات العربية التي وقعت مؤخراً، حيث تَمَرّدَ فيها الشباب وطالبوا بإحداث تغييرات هيكلية وسياسية كبيرة في بلدانهم. وتَمَسُّ أكثرُ الشّكاوى شيوعاً في أوساط اليافعين والشباب العرب قضيّتين مترابطتين، تُعرّفان حياتهم الخاصة والعامة، وهما: عدم التّمتّع بكل الحقوق والفرص التي يستحقّونها، والشعور بالتّقييد من قوىً مختلفة داخل مجتمعاتهم، بما في ذلك داخل الأسرة، والمجتمع برمته، والسياسات الحكومية.

لقد حدّدت الأبحاث، والمشاورات والتحاليل التي أُجريت لأجل إعداد هذا التقرير، سلسلةً من القضايا ذات الأولوية في حياة اليافعين والشباب العرب، والتي تناول التقريرُ كلاً منها في فصل مستقل، وهي: هُويّات الشباب وقيمهم، المشاركة المدنية والسياسية، الشباب العربي والتعبير الإعلامي، الاستقلال الذاتي للشباب داخل الأسرة العربية، الشابات والفتيات، القدرة الجنسية للشباب العربي، هجرة الشباب العربي، الشباب في أوضاع العنف والنزاع المسلح، والسياسات الوطنية للشباب في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

الطريقة:

في مَعْرِض إعداد هذا التقرير، على مدى سنتين – من عام ٢٠٠٩ إلى عام ٢٠١١، قام مركز عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية بالجامعة الأمريكية في بيروت، وبدعم من منظمة الأمم المتحدة للطفولة، بتنسيق عملية تشاورية مستفيضة مع مجموعة متنوعة من الشركاء، والجهات المعنية صاحبة المصلحة، واليافعين والشباب، والباحثين والخبراء، بهدف إثراء المحاور التي يستكشفها ويناقشها التقرير بالمعلومات. وتتضمن الجوانب الرئيسة لهذا الجهد التعاوني ما يلي:

- بناء التحالفات المتكاملة.

[1] البلدان والأقاليم التي يشملها هذا التقرير هي: المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا، مصر، شمال السودان، اليمن، جيبوتي، العراق، الأرض الفلسطينية المحتلة، الجمهورية العربية السورية، الأردن، لبنان، سلطنة عُمان، الكويت، قطر، الإمارات العربية المتحدة، البحرين، والمملكة العربية السعودية.

© UNICEF Syria/2009/Krzysiek

- المشاركة الشبابية في الأبحاث والمراجعات.
- إشراك القطاع الخاص والمجتمع المدني.
- تبادل المعرفة بين القطاعات وعبر دول المنطقة.

يَستندُ التّقريرُ إلى العديد من المشاورات والتحاليل للأبحاث الجديدة والجارية التي تتضمّنُ مزيجاً متآلفاً من البيانات الإحصائية المتوافرة على الصعيدين الوطني والدولي، ومن استطلاعات الرأي والمسوح التي أُجريت مؤخّراً، والدراسات الوطنية، والأبحاث المستمرة أو المُنجزة، والنصوص التحليلية الواردة من خبراء في الميدان يحظون بالاحترام والتّقدير. ويتوافر الكثير من أوراق العمل التي أُعدّت لغايات هذا التقرير، وهي متوافرة بكاملها على الموقعين الإلكترونيين لمعهد عصام فارس للسياسة العامة والشؤون الدولية بالجامعة الأمريكية في بيروت، ولمنظمة اليونيسف. وتشتمل المنهجيات، التي استُخدمت في إعداد التقرير، مراجعات للأدبيات الحالية، ودراسات مسحية كميّة، ومراجعات نوعيّة، ونقاشات المجموعات الحوارية المركّزة، وملاحظات المشاركين.

وقد عُقِدَت طوال فترة التعاون هذه سلسلةٌ من الاجتماعات ولقاءات المائدة المستديرة الإقليمية (التي يُعامل فيها المشاركون على قدم المساواة) مع الباحثين، والخبراء والممارسين بهدف إثراء محتوى وتوجّه المشروع، وإقامة شراكات مستقبلية. كذلك عُقِدَت اجتماعات مائدة مستديرة محورية في كلٍّ من القاهرة، ودبي، وبيروت وتونس، تناولت المحاور التالية:
١) المشاركة للسياسية للشباب وارتباطهم المدني. ٢) الهُويّات والقيم.
٣) الاستخدامات الجديدة لوسائل الإعلام. ٤) الفتيات اليافعات.

وقد أُدمجت في التقرير كلُّ النقاشات ووجهات النظر التي عرضها الباحثون والخبراء الإقليميون، والممارسون واليافعون والشباب أنفسهم. وتضمّنت الجلسات التشاورية الأخرى الاجتماعَ الافتتاحي السنوي مع الشباب العربي المُسْتَفْتَى / المُستطلعة آراؤه، الذي يعقده معهد عصام فارس للسياسة العامة والشؤون الدولية بالجامعة الأمريكية في بيروت. كذلك تَضَمّنت أوّلَ حلقتي نقاش عقدهما معهد غوتي ومعهد عصام فارس حول دراسة واقع الشباب في العالم العربي، وورشات العمل التي انعقدت حول المائدة المستديرة بشأن الرّيادة الاجتماعية من جانب الشباب في العالم العربي، وبشأن السياسات الاجتماعية المعنية بالشباب.

وقد شدّد فريق البحث كثيراً على الاستفادة من أصوات الشباب العرب ومشاعرهم الوجدانية من خلال أربع مقاربات أساسية، هي:
١) الدراسات المسحية واستطلاعات الرأي التي أُجريت على المستويين الوطني والإقليمي في الآونة الأخيرة. ٢) عقد نقاشات المجموعات الحوارية المركّزة مع الشباب في أرجاء المنطقة كافةً، بمن فيهن الشباب الباحثون في ثمان بلدان عربية، يُنظّمها مشروع يُنفّذه المجلس الثقافي البريطاني.٣) إجراء تحليلات قائمة على البلدان لما يُعبّر عنه الشباب على المواقع الإلكترونية، وداخل غُرف الدردشة الإلكترونية والمنافذ الأخرى المستندة إلى شبكة الإنترنت.
٤) إجراء البحوث الميدانية من جانب علماء باحثين أجلّاء قاموا مباشرة بالتعامل مع اليافعين والشباب، أو دراستهم مسحياً أو عقد مقابلات شخصية معهم. لقد أجرى هذا البحث الجديد، الذي جاء التفويض بإجرائه لأغراض سدّ الفجوات في البيانات، باحثون أكاديميون محليّون من داخل الوطن العربي، فسلّط الأضواء على الثروة المعرفية والخبراتية المتوافرة محلياً، في الوقت الذي قدّم فيه أيضاً تحليلاً مُعمّقاً متنوّع الجوانب.

الفصل — ١ : هُويّاتُ الشباب وقيمهم

وفرةٌ في تعدّد الهويات في المجتمعات الآخذة في التّطوّر

قائد فريق المؤلفين: رامي ج. خوري.

المُساهمون: تشارلز حرب، ناصر ياسين، موسى شتيوي،
يزن دخقان، والدكتورة عبلة غو جاندي.

الاستنتاجات الأساسية:

هُويّات الشباب وقيمهم لم تخضع لقَدْرٍ كاف من الأبحاث، وهي مُعَقّدةٌ بسبب ثلاثة عوامل أساسية، هي: ١) اليافعون والشباب يلتزمون بهويات مختلفة، وأحياناً متضاربة، في مجالات مثل الإثنية (العِرْق)، والدِّين، والجنسية، والنوع الاجتماعي، والهوية الجنسية، والروابط الأُسرية، والإيديولوجيا، والأعراف الاجتماعية. ٢) استُكمِلَت القيمُ المجتمعية الأصيلة والقوية، التي عَرّفت الشّعب الشّرق أوسطي (كالدِّين، والأُسرة، والعشيرة والعِرق مثلاً)، على نطاق واسع، بالأعراف، والقيم، والمواقف الاجتماعية الفردية، القادمة في معظمها من العالم الغربي. ٣) تَتَطوّر هُويّات الشباب وقيمهم باستمرار بينما يُعاد تشكيل الخَلْطات المتوالفة من الهُويات والقيم المحلية والأجنبية باستمرار أيضاً.

وتَدْخُلُ النّبضاتُ المُستجِدّة، مثل الحركات العالمية بشأن البيئة، أو الحُرّيّة الجنسية أو القضايا التجارية المُعَوْلَمة، بصفة مستمرة، في عالم الشّباب. ومع حدوث التغييرات السّياسيّة التّاريخيّة الجارية حالياً منذ بدايات عام ٢٠١١، **يُحْتَمَلُ أنْ تتسارع طبيعة ووتيرة التغيير في حياة اليافعين والشباب العرب، وأن تَتَضَخّم**، مع أنّ ذلك سوف يحدث بطرائق مختلفة في بلاد المنطقة كافة، بينما تأخذ بعض الدول بالتّحرّر، وتبقى دولٌ أخرى خاضعةً لقبضة الحُكم المركزي الشديد.

يُوصّفُ عنصران مشتركان هُويّات اليافعين والشباب العرب، ويؤثّران على رؤيتهم وأولوياتهم، وهما: **الأسرة والدّين**. فقد أوضحت دراسة مسحية إقليمية لمجموعة من الشباب العرب، في الفئة العمرية ١٨ – ٢٤ عاماً، الدّور القويّ للدّين في حياتهم. إذْ قالت نسبة ٦٨ في المئة من المُستجيبين أنّ الدّين يُعرّفهم بأنّهم أشخاصٌ (أصداء ٢٠٠٨، الصفحتان ٧٥ – ٧٦). ويميلُ اليافعون والشباب العرب إلى الإعراب عن اتّجاهين عن أنفسهم ومكانهم في المجتمع: فهم، من ناحية، ينظرون إلى الأسرة والدّين كمُرْتَكَزين قويين لهويتهم وقدرتهم على استطلاع المستقبل، ومن ناحية أخرى، فهم يُعبّرون عن همومهم الحقيقية بشأن الافتقار إلى الفرصة لكي يُسْمِعوا أصواتَهم، وأنْ يُؤخَذوا على مَحْمَل الجدّ، وأنْ يَبلغوا كامل طاقاتهم وإمكاناتهم، وأن يتنافسوا بطريقة عادلة على الفرص الوظيفية والموجودات / الثروات الأخرى.

ففي مصر، وفقاً للدراسة المسحية على الشباب العربي، التي أجرتها مبادرة "صلتك بمشاركة مؤسسة غالوب Silatech-Gallup"، يعتقدُ ٦٣ في المئة من الشباب المصريين بأنّ وجود أسرة أو البدء في تكوين أُسرة هو الهدف الأكثر أهميةً لكلّ من الشباب والشابات. وفي مصر كذلك، يعتقد ٦٩ في المئة من الشباب أنّ معرفة أشخاص يشغلون مناصب عُليا أمرٌ له أهميةٌ بالغةٌ في الحصول على فرصة عمل. فالواسطة، أو وجود علاقات صحيحة، يُنظر إليها بأنّها عقبةٌ رئيسةٌ أمام الحصول على عمل، وهذا يعكس شكاوى شبابية واسعة الانتشار بشأن آفاق الفرص الوظيفية في أجزاء كبيرة من المنطقة.

وفي دراسة أُجريت مؤخراً في لبنان، يُظهرُ الشباب اللبناني هُويّات أسرية ووطنية واضحة، وتليها في الظهور، بدرجة قريبة، هُويات الانتماء الطائفي. فهؤلاء الشباب يهتمّون إلى حَدّ كبير بأُسَرهم وبلبنان وبطوائفهم، ويَتَماهون (يتماثلون) معها. ولا يعتنق الشّباب اللبناني قيم المُتعة في الحياة والإثارة، ولكنهم يبدون أكثر تركيزاً على الإنجاز، والاتّجاه الذاتي، والاستقلال في الفكر والعمل. وقد كان الشباب اللبنانيون الذي شاركوا في عملية المسح متأثّرين بنهضة الثقافة الشّبابية العالمية، التي تُثريها شبكات التواصل العالمية الكثيفة، وبالإعلام الجماهيري. وفي الوقت ذاته، يشعر أولئك الشباب بالانغماس في الممارسات المحدودة التي تُوقِعُهم في بيئات مقيّدة.

ويُعبّرُ اليافعون والشبابُ الأردنيون، شأنهم في ذلك شأنُ أقرانهم في معظم دول المنطقة العربية كلّها، عن مزيج من الرّضا والفخر. ففي دراسة أُجريت مؤخراً، شعر ثُلُثا المستجيبين (٦٧ في المئة) بأنّ تحقيق النّجاح في الحياة يعتمد على وضعهم الأسري الراهن في مجتمعهم، بدلاً عن اعتمادهم على جهودهم الخاصة. ويَلعبُ الدّين دوراً قويّاً في هُويّة وقيم اليافعين والشباب الأردنيين، مع ارتفاع نسبة أولئك الشباب الذين يُعرّفون أنفسهم بأنّهم أولاً ينتمون إلى الأمة الإسلامية (مجتمع المؤمنين) (وتبلغ نسبتهم ٣٤ في المئة)، ارتفاعاً طفيفاً عن أولئك الذين عرّفوا أنفسهم بأنّه أُردنيون أولاً (٣١ في المئة). وقال معظم الأردنيون (٥٨ في المئة) أنّهم فخورون جداً بأمتهم، وأعربوا عن ثقة كبيرة بمؤسسات الدولة، كالقوات المسلّحة، والسلطة القضائية والشرطة مثلاً، ولكنّهم على ثقة أقل نسبياً بالبرلمان، ووسائل الإعلام، والقطاع الخاص.

وعلى الرّغم من الهموم المشتركة بشأن المُحاباة والتمييز، فإنّ بيانات استطلاع الرأي في كل أنحاء المنطقة تكشفُ، **بصفة مُتّسقة، النّقابَ عن حسّ من التفاؤل والاستعداد للعمل الشاقّ من أجل تحقيق الأهداف**. ويُظهر استطلاع الرأي الذي أجرته مؤخّراً مبادرةُ "صلتك بمشاركة مؤسسة غالوب Silatech-Gallup"، على العرب في الفئة العمرية من ١٥ إلى ٢٩ عاماً، أنّ أكثريةً قويةً – متوسّطها يفوقُ نسبة ٨٠ في المئة في معظم الحالات، وتصل إلى ٩٤ في المئة في تونس، و٩٥ في المئة في السودان – تعتقد أنّهم إذا عملوا بجدٍ واجتهاد، فإنّهم سوف يَمضون قُدُمَاً، ويُحقّقون أهدافهم الحياتية.

كذلك فقد كشفت دراسةٌ مسحيةٌ لتوجّهات الشباب – أُجريت مؤخّراً في معظمها على طلبة تتراوح أعمارهم بين ١٥ و ٢٥ عاماً، في دول مجلس التعاون الخليجي الستّ: المملكة العربية السعودية، دولة الكويت، مملكة البحرين، الإمارات العربية المتحدة، دولة قطر، وسلطنة عُمان – النّقاب **عن مستويات عالية من التّفاؤل بشأن آفاقهم المستقبلية**، وعكست في الوقت نفسه تظلّماتهم في بعض المجالات. وقال ما يزيد على ٩٠ في المئة من الطلبة في الدول الستّ كلها – ما عدا دولة البحرين (٨١ في المئة) – أنّهم إما متفائلون أو متفائلون جداً بشأن آفاقهم المستقبلية، في حين أعرب الطلبة في الدول الستّ كلها عن مستويات مرتفعة جداً من الرّضا (٨٨ في المئة فأكثر). كما أعرب شباب دول مجلس التعاون الخليجي عن حاجة قوية إلى المزيد من الديمقراطية والمشاركة السياسية في البلدان الستة كلها.

تَصوّراتُ الرجال والنساء لحقوق المرأة هي عناصرُ مُهمّةٌ لكلٍّ من هُويّاتهم ونُظمهم القيمية التي يُمكن أن يكون لها أثرٌ هائل على تعليم الشّابّات، ومهنهنّ، وخياراتهنّ الحياتية، وتحقيق ذواتهنّ بصورة عامة، الأمر الذي يؤثّر بدوره في مسيرة التنمية الوطنية للبلد. وتَتباينُ تَصوّراتُ أدوار المرأة في المجتمع داخل العالم العربي: فقد أظهرت دراسةٌ مسحيةٌ إقليمية أنّ ٥٨ في المئة من الذكور، و ٧٣ في المئة من الإناث، في الفئة العمرية ١٨ – ٢٤ عاماً، يعتقدون بأنّ الرجال والنّساء يجب أن تُتاحَ لهم فُرَصٌ متساوية في مكان العمل (أصداء ٢٠٠٨، صفحة ٨٠).

دراســـــة حالة:
اليافعون والشباب الجزائريون المُهمّشون يُنشؤون هُويّتهم الجماعية الخاصة.

في دراسة مسحية أُجريت مؤخّراً على يافعين وشباب، في الفئة العمرية ١٣ – ٢٣، عاماً يقيمون في أحياء سكنية في محيط المناطق الحضرية في الجزائر، شخّصت عالمة الاجتماع في جامعة قسطنطين، الدكتورة عبلة غو جاندي Abla Rouag-Djenidi، الظاهرة التي تتمثّل في الطريقة التي خلقَ فيه المُحبَطون اقتصادياً والمُهمّشون من الشباب هويةً لأنفسهم باستخدام الوسائل المتوافرة لهم – الفضاءات الخارجية الفارغة داخل مشاريع الإسكان الخاصة بهم. تكوّنت الدراسة المسحية من إجراء مقابلات شخصية مع ٣٦٨ يافعاً وشابّاً في أربعة مشاريع إسكانية في شرق الجزائر.

أكّدت المقابلات الشخصية أنّ الرجال يقضون جُلّ وقتهم الحُرّ خارج بيوتهم. وكانت الغالبية الكبرى من اليافعين والشباب غير راضية عن ظروفها المعيشية في بيوتها، وتقضي وقتاً قليلاً داخلها، مع وجود حوالي ٨٥ في المئة منهم يقضون معظم أوقاتهم خارج منازلهم، ويعودون إليها في ساعة متأخرة من الليل؛ إما لأنّهم لا يجدون الفضاء الخاص بهم في داخل بيوتهم، وإما لأنّهم لا يتمتّعون بعلاقات إيجابية مع أفراد أسرهم الآخرين. وكان أكثر من نصف الشباب غير ملتحقين بالمدرسة، ونصفهم سبق له أن تعاطى المخدرات، و ٧٢ في المئة منهم لهم أصدقاء اعتادوا على تعاطي المخدرات، و ٧٥ في المئة ينتمون إلى عصابات محلية، وحوالي نصفهم سبق لهم أنْ تورّطوا في أفعال جانحة. وتعتبر الفئة العمرية ١٧ – ٢٠ عاماً الفئة الأكثر عرضة لهذا النوع من "التّهميش الاجتماعي". فمثلُ هذا التّهميشُ يُمثّل الطريقة التي يُبدي بها هؤلاء الشباب ردود أفعالهم على عدم مقدرتهم على التأقلم مع الظروف المعيشية، والاجتماعية الاقتصادية التي عرّفها لهم مجتمعهم. إنّ ثقافة عصابات الشباب وسلوكهم هي الطريقة التي اتّبعوها في صياغة دور لهم بأنفسهم في المجتمع الذي لا يعرض عليهم فرصاً أُخرى إمّا ليؤكّدوا بها أنفسهم خلافاً لكلّ ذلك، وإما ليشعروا بأنهم جزء من المجتمع.

المراجع الرئيسية:

١. الدّباغ، مي، وغالية جرجاني. نهوج بناءة ديناميكية لتحديد اللغة والثقافة في دول مجلس التعاون الخليجي. دبي: ملخص السياسات لكلية دبي للإدارة الحكومية. تحت الطباعة، ٢٠١٠

٢. Bowles, Hannah, and May Aldabbagh. "Status and the Evaluation of Negotiation Behavior: A study of gender and bicultural identity." Intersections of Gender and Culture in Negotiation and Decision-Making Symposium.International Association for Conflict Management، ٢٠١٠.

٣. Burson-Martseller, Asdaa. "Arab Youth Survey." AUB IFI-UNICEF Workshop ،٢٠٠٨ Slides ٧٥-٧٦.

٤. خليفة، عاطف م. بروز الشباب والفرصة الديمُغرافية في العالم العربي. بيروت: الإسكوا، ٢٠٠٩.

٥. "صلَتك ومؤسسة غالوب. دليل صلَتك: أصوات اليافعين والشباب العرب. صلَتك ومؤسسة غالوب، كانون الثاني / يناير ٢٠١٠.

٦. برنَامَج الأمم المتحدة الإنمائي – مَعهد التخطيط الوطني. الشباب في مصرَ: بَناء مستقبلنا. تقرير التنمية البشرية – مصر، (المدير: هبه هندوسه) برنامج الأمم المتحدة الإنمائي والمعهد الوطني للتخطيط، ٢٠١٠.

الفصـــل — ٢: مشـــاركة الشبـــاب المدنية و السـيـــاسيـــة

فُتورُ المشاعر في خِضَمّ أشكالٍ جديدةٍ من التحرك

قـــائد الفريق المؤلفين: رامي ج. خوري و دينا شحـــاته.

المُساهمـــون: بربارا إبراهيـــم، غريغـــوري غاوسـي، وكريستين أسعد.

الاستنتاجات الأساسية:

في كانون الأول / ديسمبر ٢٠١٠ وكانون الثاني / يناير ٢٠١١، دخل اليافعون والشباب العرب في خمسة بلدان عربية، في واحدة من سلسلة الأحداث الأكثر دراماتيكية (إثارة للاهتمام) في تاريخ العالم الحديث، للتعبير المدني الجماهيري والمشاركة الجماهيرية العامة على مستوى الشارع. ورسم اليافعون والشباب العرب خطّاً تاريخياً يفصل بين مرحلتين مختلفتين راديكالياً (جذرياً) من حياتهم، هما: مرحلة التّوجّهات سهلة الانقياد والسلبية الظاهرة على السطح قبل ديسمبر / كانون الأول ٢٠١٠، ومرحلة الاستعداد الجماهيري الأكثر توكيداً للذات بكثير من ذي قبل في إعادة تشكيل ممارسة السلطة السياسية، ضمن عملية مستمرة، سُمّيت بالكثير من الأسماء، تشمل: "الربيع العربي"، "الصحوة العربية الثانية"، "ثورة المواطنين العرب"، "الثورة العربية"، أو "الانتفاضات الوطنية العربية".

ولم يكن الانتقالُ المفاجئُ من فتور المشاعر (العُزوف) الظاهري إلى الحِراك المُفرط مُتَوقّعاً على نطاق واسع. ومع ذلك، فقد وَثّقَ الباحثون في موضوع اليافعين والشباب العرب طويلاً إحباط اليافعين والشباب الذي تجلّى ذاتياً في ثلاث طرائق رئيسة، هي: ١) الافتقار إلى الثّقة الواسع الانتشار في المنافذ السياسية القائمة. ٢) الإحباط بسبب الفرص المحدودة لكي يُشاركوا مشاركةً لها معنىً في الأعمال الجماهيرية العامة والمدنية. ٣) البدء في الكثير من الأشكال الجديدة للتعبير عن الذات والعمل المجتمعي.

وعلى الرّغم من ابتعاد اليافعين والشباب العرب عن المؤسسات السياسية الرسمية وبقائهم، لعدة عقود من الزمان، مُتَشَكّكين في الانتخابات الوطنية في بلدانهم، فقد شعروا بالحاجة إلى أن يكونوا نُشطاء في مجتمعهم؛ وذلك بهدف إما إحداث التغييرات فيها وإما إدخال التحسينات على حياتهم. فالحِراك الشبابيّ – وهو حِراكٌ شديدٌ على وجه الخصوص في المجتمعات العربية الأبوية اجتماعياً وغير الديمقراطية – وَكّدَ ذاته في عقد التسعينيات من القرن الماضي وفي عقد الألفية، من خلال مجموعة متنوعة من القنوات الفعلية والافتراضية التي يُمكن مُشاهدتها كمُدخلات لتفجير المشاركة الشبابية المدنية والسياسية التي ظهرت في الآونة الأخيرة.

كانت مشاركة الشباب المدنية والسياسية، حتى بداية ثورات الشوارع العربية الأخيرة، تتشكّلُ من ثلاثة أنواع من النشاطات في المجتمع، هي: ١) المنظمات غير الحكومية التقليدية، ونشاط المتطوعين والجمعيات الخيرية. ٢) العمل السياسي التقليدي (الأحزاب، الاتحادات المهنية المُجازة، والمؤسسات الشبابية التي تُديرها الدولة)، والحراك السياسي الأكثر حداثةً (الاحتجاج في الشوارع، والحشد على شبكة الإنترنت، والتّعرّض والحِراك الإعلامي الجديدين). ٣) مزيجٌ من هاتين الطريقتين في "الحراك المدني" – وهو خَلْطَةٌ من التّثقيف العام، ورفع مستوى الشعور، والضغط (اللوبي) السياسي، والحِراك على مستوى الشارع، أو التّطوّع والخدمة المُجتمعية لليافعين والشباب حول قضية مشتركة منفردة بعينها. وتتضمّن الأمثلة على نشاطات المشاركة المدنية والسياسية في المنطقة ما يلي: "بناء الأمة" و "الرسالة" في مصر (دينية)، "تواصل" في الإمارات العربية المتحدة، "انتفاضة الاستقلال" في لبنان (وطنية)، أو "شارك" في فلسطين (إنصافية).

البياناتُ المتوافرةُ عن مشاركة اليافعين والشباب المدنية والسياسية ضعيفةٌ في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. ومع أنّ عدد المنظمات غير الحكومية الشبابية الناشطة قد ازداد في السنوات الأخيرة، إلا أنّه يبقى دون مستوى التّطور المطلوب. فالإحصاءاتُ المُستقاةُ من الدراسات المسحية الوطنية الحديثة تُبرِزُ مشكلة انخفاض معدلات مشاركة اليافعين والشباب العرب السياسية والمدنية في المؤسسات والمنافذ التقليدية. فنسبة ٥٣ في المئة من اليافعين والشباب العرب يثقون في حكوماتهم الوطنية، غَيْرَ أنّ نسبة ٤٢ في المئة، وهي نسبة كبيرة، لا يثقون بها. ولا يرى النّصف تماماً من الشباب العرب انتخاباتهم الوطنية بأنها أمينة. فقَبْلَ ديسمبر / كانون الأول ٢٠١٠، بدا الكثيرُ من اليافعين والشباب العرب بردة الفعل على افتقارهم إلى الثقة في عالم السياسة العام بطرائق مختلفة: قِلّةٌ منهم أنشؤوا حركات سياسية عامة مُرَكّزة، على نطاق ضيّق، تُعنى بقضية منفردة بعينها؛ وبعضهم انضمّ إلى المجموعات الشبابية الإسلاموية المرتبطة بالجماعات الرائدة، مثل حركة حماس وحزب الله وجماعة الإخوان المسلمين، والبعض الآخر انخرط شخصياً إما في العمل الخيري والتطوعي وإما في المناظرات السياسية والاجتماعية على المستوى الوطني.

بَيْدَ أنّ المستويات المُنخفضة من المشاركة السياسية أو المدنية لا تتضمّن الافتقار إلى الاهتمام بالإصلاح الديمقراطي أو المواطنة العالمية. فالدراسات المسحية الحديثة تُبيّنُ أنّ الشباب في المنطقة العربية يضعون قيمةً عاليةً للديمقراطية (٩٣ في المئة في الأردن، ٨٤ في المئة في مصر، ٨٥ في المئة المغرب، ٩١ في المئة في العراق، و ٧٥ في المئة في الإمارات العربية المتحدة)، كذلك تُبيّن أنّ معظم الشباب العرب في الفئة العمرية ١٨ – ٢٤ عاماً يرغبون في ممارسة الحق في الإدلاء بأصواتهم في الانتخاب / الاقتراع. أما الشباب الفلسطينيون فهم مُسيّسون بطريقة أكثر نشاطاً من معظم الشباب في المجتمعات العربية الأُخرى، وبخاصة منذ نشوء أجيال الانتفاضة الأولى والثانية في عَقدَيْ الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي.

يَظَلُّ الذكور يهيمنون إلى حَدّ كبير على المجال العام للحِراك الاجتماعي والسياسي، ويبقى غياب المرأة علانيةً عن الحركات الجارية ضمن التّيار العام في المجتمع واضحاً للعيان. ومع ذلك، فقد أخذت النساء الشابات، في بعض الحالات، يُصبحن أكثرَ نشاطاً. وفي كثير من الأحيان، يَقُدْنَ حركات تهدف إلى التغيير الاجتماعي، أو البيئي، أو السياسي، ولا سيّما في بلدان مثل لبنان، والأردن، ومصر، والمغرب والكويت. وقد نجحت بعض هذه الجهود إلى حدّ كبير (على سبيل المثال حركة النساء بشأن حقوقهنّ في الانتخاب في دولة الكويت أو الوضع القانوني للمرأة في الأسرة في المغرب). ومع ازدياد انتشار الحواسيب المنزلية والهواتف الخليويّة (المحمولة) أكثر من ذي قبل، فقد أخذ مجالُ الفضاء الإلكتروني يُضَيّقُ بعضَ الفجوات في المشاركة الجماهيرية العامة بين النوع الاجتماعي. وفي الحقيقة، فإنّ الإناث العربيات لا يحتجن إلى مغادرة منازلهنّ أو إلى الحصول على إذنٍ من الذكور لكي يُصبحن مُشاركات بنشاط في النقاشات العامة وتشكيل الرأي.

ولا يُمكنُ عَزْلُ عملية فهم مشاركة الشباب العامة والمدنية عن الاتّجاهات الاقتصادية والاجتماعية التي تؤثّر في اليافعين والشباب. ولذلك، بينما تُبدي أكثريةُ اليافعين والشباب مشاعر إيجابية تجاه قَدْرٍ من مشاركة المواطنين أكبر، فإنّ لديها توقّعات متدنية بأنّ الحكومات ستسمح لهم بأن يكونوا مواطنين .

© UNICEF Egypt 2011/Dakhakhny

ناشطين، فما تزال أولوياتهم باقيةً على حالها، وهي الحصول على عمل، وتحقيق تقدّم على صعيد المهنة، وامتلاك القدرة على تكوين أسرة.

الرِّياديَّةُ الاجتماعيةُ هي أسرعُ القطاعات نمواً لدى المنظمات غير الحكومية وفي الحِراك الشبابي، وذلك في ظلّ تنفيذ برامج حِراكية ابتكارية تهدف إلى تحقيق منافع اجتماعية في كلّ قطاعات المجتمع على أساس مُستدام، مثل مشروع "إنجاز" في الأردن، وجمعية "على شانِك يا بلدي" للتنمية المستدامة في مصر.

يَستخدمُ اليافعون والشباب العرب **في الوقت الحاضر**، بصورة مطّردة، وسائل الإعلام الرّقْمي الجديدة للتعبير عن أنفسهم وللتواصل فيما بينهم، مما يخلق مجالات وأشكال جديدة من المشاركة السياسية والمدنية. وإذا ما ظهرت في الوقت الحاضر، بعضُ أشكال المشاركة العامة، التي وقعت ذات مرة في الشوارع، في العالم الافتراضي (من خلال المواقع الإلكترونية أو الهواتف المحمولة)، فقد أثبت الحِراكُ الرّقْمي أيضاً أنّه قادرٌ على حشد أعداد كبيرة من النّاس للتّظاهر في الشوارع. ففي مصر على سبيل المثال، ازداد في الآونة الأخيرة استعمالُ وسائل الإعلام الجديدة كأداة للتعبير، والتنظيم والحشد، إذْ تجاوز عددُ مستخدمي الإنترنت ٢٣ مليوناً في نهاية عام ٢٠١٠، مع حدوث زيادة موازية لذلك في عدد المُدَوّنات الإلكترونية على شبكة الإنترنت، ومجموعات البريد الإلكتروني، ومستخدمي وسيلتي الإعلام الاجتماعي: "التويتر"، و"الفيسبوك" (٢٠ في المئة من المُدَوّنات، البالغ عددها عشرة آلاف مُدَوّنة، والتي أنشأها المصريون، تُركز على القضايا السياسية).

لقد حقّق ملايين اليافعين والشباب العرب، الذين يتظاهرون في الوقت الحاضر في الفضاءات العامة، وعلى شبكة الإنترنت، أو داخل منظماتهم المجتمعية المحلية **تَحَوّلاً نفسياً مُهِمّاً** – من حالة كانوا فيها رعايا سَلبيين خاضعين لتصنيفات الكبار الرّاشدين لهم ولسيطرتهم عليهم، إلى حالة أصبحوا فيها عوامل للتعبير الذاتي والتغيير الاجتماعي أكثر نشاطاً. وقد نتج عن ذلك أحدُ أهمّ التّطوّرات في الآونة الأخيرة، وهو: قدرة الحِراك الشبابي على تحقيق قَدْرٍ من التأثير أكبر في المجتمع، عن طريق ربط وسائل الإعلام التقليدية مع القوى السياسية.

ما تزال المنطقةُ العربيةُ في مرحلة مبكرة من تعريف الروابط المُعقّدة ودائمة التغيير في **أوساط القوى المتعددة في حياة يافعيها وشبابها، وهي: قوةُ وسائل الإعلام وتكنولوجيا الاتصالات الجديدة**، ومشاركةُ اليافعين والشباب في العمل المجتمعي المحلي – الخَيريُّ منه والتّطوّعيُّ، واليافعون والشباب الذين يقودون بعض الانتفاضات العربية وثورات الحوكمة الجارية، وتَصوّر الآباء والأمهات لأدوار وحقوق أبنائهم وبناتهم، والأنظمة السياسية والقانونية الرسمية التي تستمر في تعريف حدود وفرص اليافعين والشباب. لقد أوضح اليافعون والشباب، فيما وراء كُلّ هذه العوامل، بأنّهم سوف ينخرطون بنشاط في مجتمعاتهم. وإذا لم يُوفّر المجتمع لهم الفرص الملائمة، فإنّهم ربما يأخذون زمام المبادرة لتغيير الطريقة التي يعمل فيها المجتمع في المجال العام.

المراجع الرئيسة:

١-الحداد، عائشة عصام. "العلاقة بين المشاركة السياسية "التي ستكون" وبين الشباب المصريين الذين يُقيمون موقع الرئاسة – ٢٠١١ للبرادعي على الفيسبوك". مؤتمر الحركات الاجتماعية. القاهرة: الجامعة الأمريكية في القاهرة، أيار / مايو ٢٠١٠.

٢. Mitchell, Laura E. Youth Engagement in Syria: Expected but not encouraged. Oslo: Fafo، ٢٠١٠.

٣- شحاته، دينا. حشد الشباب في مصر: اتّجاهات وتوصيات شديدة. سلسلة أوراق عمل عن الخلفية، بيروت: الجامعة الأمريكية في بيروت – معهد عصام فارس للسياسة العامة والشؤون الدولية، ٢٠١٠.

٤ سليمان، محمد أ. "تطور الحركات الاجتماعية في الجامعات المصرية: الحركة الطلابية كنموذج". مؤتمر الحركات الاجتماعية (باللغة العربية). القاهرة: الجامعة الأمريكية في القاهرة، أيار/مايو ٢٠١٠.

٥- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي – معهد التخطيط الوطني. الشباب في مصر: بناء مستقبلنا. تقرير التنمية البشرية – مصر، (المدير: هبه هندوسه) برنامج الأمم المتحدة الإنمائي والمعهد الوطني للتخطيط، ٢٠١٠.

الفصل — ٣: الشباب العربي والتعبير الإعلامي

انطلاق التغيير من خلال العالم الافتراضي

قائد فـــــريق المؤلفين: رامي ج. خـــــوري.

المُســـــاهمـــــــــون: جاد مالكي، منيره حبّ الله، مارك ليفين، "حِبْرٌ دُتْ كُمْ" 7iber.com
وعد إبراهيم، رودا ليغ، إيفانا تشالمرز، كارين أبي صعب، ساره طباره، و جو خليل.

الاستنتاجات الأساسية:

استعمالُ وسائل الإعلام الجديدة لأغراض التّسلية والحراك آخذٌ في الازدياد في جزء كبير من العالم العربي، وقد أسهمَ هذا الاستعمالَ إسهاماً بالغ الأهمية في التغييرات السياسية التاريخية، وهو ما يُطلَقُ عليها اصطلاحاً اسم "الربيع العربي" (أو "الانتفاضات العربية") في عام ٢٠١١. ومع أنّ أجزاءً كبيرةً من المنطقة تبقى خارج العالم الرّقمي، فإنّ اليافعين والشباب من الجنسين، بصفتهم ناشطون سياسيون، يخلقون مفاهيم جديدة "للمجال العام"، حيث يُعَبّرُ عن وجهات النظر، وتُناقَشُ الأفكار، وتُستَكشَفُ الهُويّات، وفي بعض الحالات، تُتَحدّى هيكلية القوى القائمة.

يعتقدُ المُحلّلون العرب والغربيون، بصورة مُطّردة، أنّه بينما قد يُعطي الحراكُ على الشبكات الاجتماعية المُستخدمين لها الفرصةَ للتعبير عن أنفسهم، فإنّ هذا الحراك قد لا يكون له دوماً أثرٌ مباشرٌ؛ وذلك نظراً لأنّ العلاقات التي تُقامُ على شبكة الإنترنت تُنتجُ علاقات "ارتباط ضعيفة" بالحركات. ويتطلّبُ الحراكُ ذو الخطورة العالية، اللازمُ للتغيير السياسي علاقات "ارتباط قوية" خاصة بالحراك على الأرض وبالتغيير، الّذين قد يَحدُثا أحياناً كثيرةً في الحياة الواقعية لا في الحياة الرّقمية.

يَتّصفُ استعمالُ وسائل الإعلام، شأنه في ذلك شأن الجوانب الأخرى من حياة اليافعين والشباب العرب، بثلاثة ظواهر مركزية، هي:
١) **التفاوت** في معدلات الوصول إلى وسائل الإعلام الجديدة وفي معدلات استعمالها. ٢) **التَحَوّل**، لأنّ طبيعة وسائل الإعلام وكيفية استعمال اليافعين والشباب العرب لها يمثّلان حالة تغيير ثابتة. ٣) **توكيد الذات**، لأنّ وسائل الإعلام الجديدة هذه تُوفّرُ الوسيلة المنفردة الأكثر أهميةً التي باستخدامها يتحدث اليافعون والشباب العرب بصراحة، ويتجاوزون الحدود التي تفرضها عليهم مجتمعاتهم.

تُزيلُ التّحوّلاتُ الديمقراطية التي تأخذُ مجراها في بعض البلدان العربية، بوتيرة بطيئة، الحواجزَ التي منعت اليافعين والشباب من التّعبير عن أنفسهم بحرّيّة في الفضاءات العامة. ومع ذلك، ما يزال يُوجَدُ قيدان مشتركان آخران مفروضان على هذا التعبير، هما: التفاوتات الواسعة النطاق في الوصول إلى وسائل الإعلام الجديدة، وعدم قدرة الأنظمة السياسية على ترجمة حاجات اليافعين والشباب إلى إحداث تغييرات في السياسات الحكومية. **فثمّةَ أقليةٌ من اليافعين والشباب العرب تستطيع الوصول إلى الطاقة الكاملة لوسائل الإعلام في الوقت الحاضر**. فحوالي نسبة ٢٩ في المئة من الناس في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا يستخدمون الإنترنت، أغلبيتهم من اليافعين والشباب. وتُبيّن البيانات الأحدث عن وصول اليافعين والشباب العرب، من الفئة العمرية ١٥ – ٢٩ عاماً، إلى الإنترنت أنّ نسبة ٦٢ في المئة منهم تتوافر لهم إمكانية الوصول إلى الإنترنت داخل مجتمعاتهم المحلية، ولكنّ نسبة ٢٢ في المئة منهم فقط تتوافر لهم إمكانية الوصول إلى الإنترت في منازلهم.

وبالنسبة إلى العام العربي برمته، فإنّ تفاصيل مستخدمي وسيلة الإعلام الاجتماعي: "الفيسبوك"، تشير إلى أنّ نسبة متوسط الذكور إلى الإناث من المستخدمين يبلغ ١:٢، وهي نسبةٌ أدنى بكثير من المتوسط العالمي لاستخدام الإناث للإنترنت، الذي يبلغ ٥٤ في المئة (كلية دبي للإدارة الحكومية، ٢٠١١). لقد ازداد استخدام "الفيسبوك" على وجه الخصوص، بسرعة، في جزء كبير من العالم العربي خلال السنوات الأخيرة، ولا سيّما خلال السنة الأخيرة من هذه السنوات. ففي كانون الأول / ديسمبر ٢٠١٠، استخدَم (٢١،٣) مليون عربي في المنطقة "الفيسبوك"، وهو نموٌّ سنويّ استثنائي مقداره ٧٨ في المئة، مرتفعاً من (١١،٩) مليون مستخدم خلال العام الماضي (كلية دبي للإدارة الحكومية، ٢٠١١). وبينما تستخدم نسبة ٢٢ في المئة من السكان "الفيسبوك" في منطقة الخليج العربي، فإنّ نسبة ٩ في المئة فقط المشرق العربي و ٤ في المئة في شمال أفريقيا يستخدمونه (IWS ٢٠١١).

تُواجه النساء قواعد صارمة وعقبات شديدة في تجربة الوصول إلى الإنترنت والحرية، ولكنّهنّ يتعلّمن الالتفاف على مواثيق السلوك هذه، تماماً كما يفعلن في بيوتهم وعلى الملأ. بَيْدَ أنّ تصوّرات التعبير عَبْرَ الإنترنت من جانب اليافعات والشّابات في المجتمعات العربية المُحافظة تُظهر بعض أمارات التغيير في هذه التجربة. فمع أنّ عدداً صغيراً من اليافعات والشابات يستخدمنَ "الفيسبوك" بطرائق ليبرالية (متحرّرة) نسبياً، إلا أنّ التّعبير الذاتي على الإنترنت ما يزال مُقَيّداً بين أغلبية تلك اليافعات والشابات؛ وذلك نظراً للقيمة المرتفعة التي تُوضَعُ للسُّمعة، ولِصِغَر المجتمع المحلي الذي يعشن فيه.

لقد استخدَم الناشطون السياسيون والاجتماعيون في العالم العربي الاتصالات **باستخدام الهاتف الخليويّ (المحمول)** لحشد وتنظيم الاحتجاجات العامة في السنوات الأخيرة. ووفقاً للمتوسطات الوطنية، فإنّ الهواتف المحمولة أكثر انتشاراً من الخطوط الهاتفية الثابتة ومن الوصول إلى الإنترنت. ففي أسوان بمصر، على سبيل المثال لا الحصر، يقَلُّ عدد مستخدمي الإنترنت في المنازل بمقدار ستة أضعاف عن متوسط عددهم على المستوى الوطني، ولكن معدل تغلغل استخدام الهاتف المحمول يبلغ ٧٤ في المئة (مؤسسة غالوب ٢٠١٠). وبالنسبة إلى وسائل الإعلام الاجتماعي، فقد لعبت الهواتف المحمولة ومحطات التلفزة الفضائية أدواراً محوريةً في إشعال الثورات العربية التي يقودها الشباب في وقت مبكّر من عام ٢٠١١.

وبفضل الانفتاح الكبير والطبيعة الغُفْل (أي: التي لا تكشف عن هُويّة المُستخدِم)، في كثير من الأحيان، لشبكة الإنترنت، ولأدوات وسائل الإعلام الجديدة الأخرى، فلا تُمكن السيطرة التّامة على المستخدمين اليافعين والشباب، مع أنّ مراقبة الحراك على الإنترنت عند مستوىً آخر، أسهلُ من مراقبة الحراك السّرّيّ. ومع ذلك، فإنّ الحرية في استخدام الإنترنت في المنطقة العربية كانت وما تزال تأخذ في التّراجع في السنوات الأخيرة، وفق ما قالته مؤسسة "فريدُم هاوس (غنّام ٢٠١١)" "(Freedom House Ghannam 2011)". فإلى جانب المراقبة الأُسرية لاستخدام الإنترنت، فإنّ معظم الحكومات العربية تُقيّد بطريقة فعّالة حرية التعبير في كل من وسائل الإعلام التقليدية والجديدة كليهما. ففي السنوات الأخيرة، كان من بين الجهات الرائدة الكبرى التي نادت ورحّبت بالرّقابة على الإنترنت على مستوى العالم خمس بلدان من العالم العربي، هي: سورية، المملكة العربية السعودية، تونس، اليمن ومصر، مع أنّ هذا الوضع سوف يتغيّر بما يتماشى مع الظروف السياسية الآخذة في التطور في بعض تلك البلدان.

تخضعُ قوانينُ الصحافة التقليدية للمواءمة والتطبيق على عالَم الإنترنت في كل أنحاء المنطقة. وتشمل هذه القوانين محظورات مُعرّفةً بطريقة غامضة، يمكن للمدّعين/للنائبين العامين لدى الدولة باستخدامها أنْ يتّهموا، أو يُرهبوا أو يسجنوا الصحفيين أو المواطنين الآخرين ممّا يخلق قيوداً قانونيةً على حقّ جميع الناس في

©UNICEF/NYHQ2009-0944/Michael Kavanagh

حرية التعبير والوصول إلى المعلومات. ومع أنّ حالات اعتقال قد وقعت بسبب تصريحات/إعلانات نُشرت على الإنترنت، إلا أنّ تلك الاعتقالات ليست شيئاً معتاداً؛ ربما لأنّ المواطنين قد تعلّموا أنْ يُمارسوا الرّقابة الذاتية بصورة معتادة أو أن يُخفوا هُوياتهم الحقيقية على شبكة الإنترنت.

وبالإضافة إلى: ١) الحشد الاجتماعي والسياسي.٢) والمساءلة.
فإنّ اليافعين والشباب يستفيدون من وسائل الإعلام الجديدة التّفاعلية والمحمولة للأغراض التالية:٣) التعبير عن الذات. ٤) التواصل. ٥) التّسلية. ٦) والصُحبة (أو "الرّفقة").
ويبدو أنّ الفضاءات المُتاحة على شبكة الإنترنت، بما في ذلك مواقع التّشبيك الاجتماعي، أكثر أهميةً لليافعين والشباب العرب؛ لأنها تُتيح لهم الفرصة للتعبير عن ذاتهم بالحدِّ الأدنى من موانع (أو "عوائق") الحرية.

وقد تَفَحّصَ استعراضٌ عشوائيٌ حديث لمحتوى الإنترنت (المواقع الإلكترونية، المدوّنات، الأفلام المُتلفَزة، المُنتديات، وغير ذلك) المواقعَ التي أنشأها اليافعون والشباب في عدد من البلدان، فوجد بصورة غير خاضعة للقيود أنّ الشباب التّونسي، واللبناني، والقطري، والجزائري والسعودي يُعبّرون عن إحباطاتهم من سياسات دولهم ومن انتهاكات حقوق الإنسان كلٌ في بلاده (غنّام، ٢٠١١). وأكثرُ الحُرّيات والحقوق التي نُوقِشت على أوسع نطاق هي حقوق العمّال، وحرية التعبير، وحقوق المرأة. كذلك نوقشت على الملأ قضية البِطالة، ولا سيّما في الجزائر ولبنان.

تُستَخْدَمُ كلٌ من وسائل الإعلام الجديدة والتقليدية استخداماً كبيراً للأغراض التّرفيهية أو لأغراض التّسلية. ويحتَلُّ التّلفاز أعلى المراتب في الاستخدام، يليه بدرجة كبيرة كلٌ من الرسائل النّصيّة عبر الهاتف المحمول، والاستماع إلى الموسيقى باستخدام الحاسوب، والتّحدّث باستخدام الهاتف المحمول. ويأتي بعد تلك الوسائل في الترتيب، كلٌ من التّشبيك الاجتماعي، والدردشة عَبْرَ الإنترنت، ومشاهدة الأفلام ولعب الألعاب المتلفزة (بالفيديو). وتأتي في أسفل قائمة وسائل الإعلام الأكثر تكرارية في الاستعمال لأغراض التسلية، قراءة الكتب والمجلات أو المدوّنات، وتحتل السينما المرتبة الأخيرة. ويُمكن أن يُنظَر إلى وسائل الإعلام، باعتبارها وسيلة للتسلية، كأنها بديل لنشاطات أو فضاءات أوقات الفراغ الأخرى، التي قد لا تُتاحُ فرصة الوصول إليها للكثير من الناس في العالم العربي ، وبخاصة أولئك الذين ينتمون إلى فئات من الدخل أدنى، واليافعات والشابات.

ومع أنّ غالبية الشباب يقولون أنهم قد استعملوا الإنترنت، ويُقدّرون مستواهم بأنّهم على درجة عالية من المهارة في استعمال وسائل الإعلام الجديدة، إلا أنّهم يقضون وقتاً أقلّ بكثير، إلى حدّ بعيد، في إنتاج المحتوى، من الوقت الذي يقضونه في استيعاب وسائل الإعلام الجديدة والتقليدية كليهما. فعلى سبيل المثال، تعترف أغلبية اليافعين والشباب المشاركين في الدراسة المسحية في إحدى الدراسات التي شملت ثلاثة بلدان بأنّهم لم يسبق لهم أن استخدموا المُدوّنات. أما أولئك اليافعون والشباب الذين يستخدمون المدوّنات، فإنّهم غالباً ما يستخدمونها بلغة غير لغتهم الأمّ؛ أي باللغة الفرنسية أو الإنجليزية (٨١ في المئة منهم يستخدمون اللغة الإنجليزية في التعامل مع المدوّنات)، ولكنّ ذلك ليس بالضرورة واقع الحال في جميع أنحاء المنطقة.

كلما ازدادت البراعة وإمكانية الوصول إلى الإنترنت في أوساط اليافعين والشباب العرب تستطيعُ الحكومات أن تضمّ اليافعين والشباب بدرجة أكبر إلى عملية صنع القرار، إذا ما أصبحت شبكة الإنترنت بُعداً جديداً، أو أضحت تُشكّل حراكاً سياسياً. وتستطيع الحكومات أن تؤسّس آليات عمل لحكومة إلكترونية مبتكرة، على سبيل المثال، حيث يُمكن التعبير فيها عن هموم اليافعين والشباب والمواطنين الآخرين بطريقة أكثر انفتاحاً، ويُمكن لهم أيضاً أن يحصلوا على فرصة استماع لأصواتهم عادلة. وإذا ما جرى تناول الفجوة الرّقمية، وجرى إدراج عملية تعليم ثقافة وسائل الإعلام ضمن نظام التعليم، فإنّ العوائق الفيزيائية/المادية، والاجتماعية والاقتصادية – مثل النقل، والتفاوتات في الدخل والمسافات الجغرافية – يُمكن أن تفقد أهميتها تدريجياً، ومعها كذلك الهيكلية التّراتبية للحكومة، الأمرُ الذي يترتّبُ عليه وجود عملية ديمقراطية، تُسْمَعُ فيها الأَصواتُ، ولا تُصْمَتُ.

المراجع الرئيسة:

١. Ayanian, Arin, and Sarah Mallat. The Virtual Voice: Arab youth activism through Facebook Background Paper Series, Beirut: AUB-IFI، ٢٠١٠.

٢. كلية دبي للإدارة الحكومية. "استخدام الفيسبوك: العوامل والتحليل. "تقرير الإعلام الاجتماعي العربي"، كانون الثاني / يناير ٢٠١١: المجلد ١ – رقم ١.

٣. Gallup Inc. Gallup World Poll. https://worldview.gallup.com/، ٢٠١٠.

٤. غنّام، جفري. الإعلام الاجتماعي في العالم العربي: أدّى إلى الانتفاضات. مركز المساعدات الإعلامية الدولية، ٣ شباط / فبراير ٢٠١١.

٥. International World Stats. International World Stats: Usage and population statistics. ٢٠١١. http://www.internetworldstats.com/africa.htm#dz and http://www.internetworldstats.com/middle.htm#sa (accessed ٢٠١١).

٦. مالكي، جاد. العادات الإعلامية لشباب منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا: دراسة مسحية لثلاثة بلدان. سلسلة أوراق العمل البحثية، بيروت: الجامعة الأمريكية في بيروت – معهد عصام فارس للسياسة العامة والشؤون الدولية، ٢٠١٠.

٧. Tesdell, Ramsey et al. "Global Changemaker's Young Arab Research Network: The new digital identities of Jordanian youth." Hebr.com and British Council، ٢٠١٠.

الفصل – ٤: الاستقلال الذاتي للشباب داخل الأسرة العربية

صناعة القرار، المشاركة والأسرة

السلطة الأبوية أو المشاركة؟

قائد فريق المؤلفين: زينه صواف.

المُســـــاهمـــــــون: كارين علاف و دايان سنغرمان.

الاستنتاجات الأساسية:

الأُسرةُ مجتمعٌ مُصّغرٌ في المنطقة العربية (بركات ١٩٩٣، ١٨٣). ولأنّ الأسرة تبقى بصفة مستمرة الوحدةَ الأساسية للمؤسسة الأبوية في المنطقة العربية، فإنّ القرارات المُتغيّرة على مدى الحياة، مثل الزواج والمسار المهني، يستمرّ النظر إليها على أنّها مسائل أُسرية أو مجتمعية. فالولاءُ الكبير للأسرة، والطبيعةُ الجمعية لتلك الوحدة قيمتان أساسيتان في المجتمع. بَيْدَ أنّ مركزية الأسرة تتعرّض للتّحدّي والاعتراض من جانب الدولة والمؤسسات الاجتماعية الأخرى؛ لأنّ أنماطَ الطلاق والزواج تتغيّر على مدى الزمان، وأنواعاً مختلفةً من العلاقات بدأت تأخذ في الظهور.

وفي حين أنّ معظم الأُسر تُوفّر بيئة داعمة وحامية لأطفالها، فإنّ الأعراف والقيم التقليدية تُقيِّدُ في أغلب الأحيان الحوار والفهم المتبادل بين اليافعين والشباب وبين الشخصيات صاحبة السلطة في الأسرة. وهذا يُتَرْجَمُ إلى علاقات رأسية بين اليافعين والشباب والكبار الراشدين، حيث يأخذ التّواصلُ بمقتضى ذلك شكلَ الأوامر، والتعليمات، والتحذيرات والتهديدات، والإكراه عن طريق الإشعار بالإثم (بركات ١٩٩٣، ١٨٣). فصناعةُ القرار والمشاركةُ داخل الأسرة بارومترين (مقياسين) يُستخدمان لقياس المشاركة الفعّالة مستقبلاً للشباب داخل المجتمع. وعندما يتمتّع اليافعون والشباب بالمشاركة كأعضاء في الأسرة، فإنّهم يكونون أفضل استعداداً وتحفيزاً للمشاركة الفاعلة في القرارات والمسائل ذات العلاقة بمجتمعهم (ملحم أبو حمدان ٢٠٠٨، ٢).

وتُشيرُ البيانات التي جمعها مسح القيم العالمية[١]، بين عامي ٢٠٠٥ و ٢٠٠٨، إلى أنّ الأسرةَ مهمّةٌ جداً لليافعين والشباب في الفئة العمرية بين ١٥ و ٢٩ عاماً في أنحاء المنطقة كافةً. ويحمل وجهة النظر هذه ٩٨ في المئة من اليافعين والشباب المصريين، و ٩٤ في المئة من اليافعين والشباب المغاربة، و ٩٥ في المئة من اليافعين والشباب الأردنيين، و ٩٥ في المئة من اليافعين والشباب العراقيين. وعلاوةً على ذلك، فإنّ التقاليد مهمةٌ لدى أكثر من ثلاثة أرباع اليافعين والشباب في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا؛ ذلك لأنّهم يرون أنفسهم أُناساً يراعون عاداتهم الثقافية، والدينية والأسرية.

ومع أنّ الزواج يُنظر إليه، بصورة متزايدة، على أنّه خيارٌ فرديٌ لا يعتمد على الموافقة الوالدية، وأنّ الحُبّ يُنظرُ إليه على أنّه متطلبٌ أساسيٌ للزواج في عقلية اليافعين والشباب العرب، إلا أنّ الزواج يستمر في كونه شأناً مثيراً للنّزاع إلى حدٍّ بعيد، وغالباً ما يكون خاضعاً لسيطرة الأُسرة، وبخاصة بالنسبة إلى اليافعات والشابات (جارالله ٢٠٠٨، ٢). أما في دول الخليج العربي، وبعض الدول الأخرى كالعراق الزواج، في أغلب الأحيان، يكون قراراً أُسَرياً بصورة حصرية. بينما في بلدان أخرى، كلبنان والمغرب مثلاً، فإنّ الشباب هم الذين أخذوا يصنعون القرار النهائي في الزواج بصورة مطّردة.

وتستمر الأُسَرُ في الأرض الفلسطينية المحتلة، واليمن ومصر، حيث تنتشر ظاهرة الزواج المبكر، في اتّخاذ قرارات الزواج بالرّغم من القوانين النافذة حالياً والتي تحدّد سنّ الزواج. ففي اليمن، يسمح القانون للفتيات بالزواج في وقت مبكر طالما أنّهن لا ينتقلن إلى العيش مع أزواجهن في بيوت الزوجية إلا بعد أن يبلغن مرحلة "النّضج الجنسي" (الحيضُ الأول). وفي العادة، فإنّ اليافعات والشابات يتأثّرن باختيار أُسَرهنّ في الزواج المبكر. ويتمتّع اليافعون والشباب أكثر بكثير من اليافعات والشابات في المنطقة العربية بخيار الزواج وتوقيته كحقٍ إنساني لهم.

يُسهمُ التعليم في إحداث خفض في معدلات الزواج المبكر في بعض المجتمعات العربية. ففي كثير من الأحيان في الوقت الحاضر، نجد أنّ النساء المتزوجات يمتلكن مستويات تعليمية مماثلة أو أعلى مقارنةً بالمستويات التعليمية التي يمتلكها أزواجهن (رشاد، ٢٠٠٥). وقد انخفضت واقعات الزواج بين الذكور والإناث غير المتعلمين انخفاضاً كبيراً مع ارتفاع معدلات الالتحاق بالمدارس لكلا الجنسين (رشاد، ٢٠٠٥). ويَتزوّج المزيد من النساء الحاصلات على مستوىً تعليمي عالٍ في وقت متأخر مقارنةً بنظيراتهنّ من النساء الأقلّ تعليماً منهنّ. فكلما تابع المزيد من النساء تعليمهنّ، تتعرّض وحدة الأسرة للتّحديّات، وتزداد الممارسة الديمقراطية في الأسرة بسبب المنافسة الاجتماعية الاقتصادية، وبسبب تَزايُد الوضع التشغيلي للمرأة. لقد أخذ الرجال والنساء يُغادرون منازلهم من أجل ممارسة مهنهم (بروتمان، ٢٠٠٨). ويندرج أقلّ من ٥٠ في المئة من واقعات الزواج في لبنان، والأردن ومصر ضمن الأنماط التقليدية للأزواج ممّن حقّقوا تحصيلاً تعليمياً أعلى من زوجاتهم (بروتمان، ٢٠٠٨).

الشابات في المنطقة العربية في حالة من التفاوض مستمرة بين توقّعات المجتمعات، والتوقّعات الأسرية والذاتية. فعلى سبيل المثال، وفيما يختصّ بالدراسات التي أجريت في هذا الشأن، فقد أظهرت دراسةٌ نوعيةٌ أجريت على عملية صنع القرار من جانب شابات في الأردن، من حيث التحاقهنّ بالجامعات والانتظام فيها، أنّ تلك الشابات ذكرن أنّه كان لديهنّ خيارات محدودة في هذا الشأن – فالقرار كان يستند إلى التوقّعات الأسرية والاجتماعية كليهما.

وضعُ النساء العزباوات أو النساء اللواتي لا يستطعن الإنجاب – سواءٌ أكُنّ متعلّمات أم غير متعلّمات، في المنطقة هو وضعٌ بالغَ الصعوبة؛ لأنّهن يتعرّضن لتحديات من مجتمعاتهنّ تتمثّل في عدم وجود أدوار اجتماعية مُحدّدة لهنّ، وفي تخصيص قيمة للمرأة إما كزوجة وإما كأمّ، وليس في تخصيص أدوار لهنّ كأشخاص (جارالله، ٢٠٠٨). إذ يُتوقّع منّ العزباوات المتعلمات أن يقمن برعاية والديهنّ وأُسرهن بسبب عدم وجود حياة مستقرة لهن أو مِهَن خاصة بهنّ غَيْرَ أنه مع ازدياد أعداد النساء غير المتزوجات في العالم العربي، فإن

١. مسح القيم العالمية هو شبكة عالمية مؤلّفة من علماء الاجتماع الذين قاموا بدراسة مسحية للقيم والمعتقدات الأساسية لعامة الناس في أكثر من ٨٠ مجتمعاً، في القّارّات الست المأهولة بالسكان جميعها.

© UNICEF/NYHQ2009-0178/Giacomo Pirozzi

النساء اللواتي يمتلكن مهناً ناجحةً لديهنّ آفاق أكثر في تحقيق ذواتهنّ خارج أدوار المرأة الأم والزوجة؛ وذلك راجعٌ إلى استقلالهن الاقتصادي (رشاد، ٢٠٠٥).

حقوقُ المرأة فيما يتعلّق بحلّ الزواج محدودةٌ. فوفق بعض مذاهب الشريعة الإسلامية، يستطيع الرجل أنْ يُطلِّق زوجته ببساطة، بقوله لها: "أنت طالقٌ" ثلاث مرات، هذا من ناحية الرجل، ومن ناحية المرأة، فيجب عليها أن تُقدِّم أسباباً "مشروعةً" للطلاق إلى المحكمة الشرعية (رشاد، ٢٠٠٥). والمرأةُ مُطالبةٌ بإطاعة زوجها في مقابل الإنفاق عليها وحمايتها، وبالمحافظة على شرف أُسرتها؛ لأنّه يُنظَرُ إليها بأنّها هي التي تحمل شرف الأسرة (رشاد، ٢٠٠٥). ونتيجةً لذلك، فإنّ معظم النّساء غير قادرات على بلوغ وضع متساوٍ مع وضع أزواجهنّ في مسائل تُعتبر محوريّةً للحياة الأسرية.

كُلّما ارتفعَ مستوى تعليم المرأة وازدادت خيارات التشغيل لديها، وكلما اكتسبت المرأة موارد مالية، كانت احتمالات الاستقلال الذاتي لها أكبر، وتَقَوّت أدوارُها وسلطتها في صنع القرار داخل أسرتها. كذلك فإنّ ارتفاع السنّ الأدنى للزواج قد أدّى بالنساء الشابات إلى الانخراط في الممارسات العادية والمشتركة للحياة اليومية التي قد يُنظر إليها بأنها مُدخلات لتغيير اجتماعي كبير، يُعْرَفُ أحياناً بتعبير "اللّاحركات 'non-movements'" (بيات ٢٠٠٩، صفحة ٢٠). وتشتمل بعض الممارسات الأساسية لتعبير "اللّاحركات" على إمكانية قيام الشابات باختيار شركائهنّ في الزواج، وارتداء الملابس التي يُردْن ارتداءها، والاستماع إلى الموسيقى التي يرغبن في سماعها، ويقضين وقت فراغهنّ في الأماكن التي يفضّلنَ قضاءها فيها. الشبابُ في العالم العربي أيضاً يشعرُ بأنّ ضغوطاً تُمارسُ عليهم لكي ينهضوا إلى مستوى التّوقّعات المفروضة عليهم من الأسرة والمجتمع؛ وذلك لكي يُصبحوا في نهاية المطاف مصدر الرزق الرئيس لأُسرهم في المستقبل. ويتحوّل الكثير من اليافعين والشباب في نهاية المطاف كذلك إلى العمل الأُسري، وإلى القطاع الخاص، طارحين جانباً أحلامهم الشخصية؛ لأنهم يحرصون على جعل والديهم ومجتمعاتهم المحلية فخورة بهم، عن طريق الامتثال إلى هذا الدور المتوقّع منهم باعتبارهم المصدر الرئيس لكسب الدخل في الأسرة.

دراسة حالة:
الشباب والزواج في العالم العربي: إيجاز قصير
بقلم: ديانا سنغرمان - الجامعة الأمريكية، واشنطن العاصمة

لقد تَيَسّر انتشارُ ظاهرة "مرحلة الانتظار waithood" أو المُراهقة المُطَوّلة، التي يعيشها اليافعون والشباب غير المتزوجين في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، عن طريق التّحوّل الديمغرافي، وتعليم الإناث المُحسّن، وتوفير فُرَص تشغيل أكبر للنساء (حتى وإن كانت منخفضة كثيراً على المستوى العالمي)، والتّحضّر، والأعراف والرغبات المتغيّرة التي تُيسّرها العولمة والاستهلاكية. ولم يَعُد الكثير من الشابات يتزوجن في سنّ المراهقة، ولكنهنّ أخذنَ يتزوجن في بداية أو أواسط العشرينيات من أعمارهنّ، بينما أخذ الرجال يتزوجون في كل أنحاء منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في الفترة من أعمارهم التي تمتد بين أواسط إلى أواخر العشرينيات والثلاثينيات (في المناطق الحضرية والريفية كليهما).

وقد أَخَذَ اليافعون والشباب يُؤخّرون، بصورة واضحة، توقيت واقعات زواجهم، ولكنّ هذا "التأخير" يحتاج إلى أن يُؤطّر ضمن سياق البنية الاجتماعية للعالم العربي. وفي الحقيقة، فإنّ الشّيءَ المحفوفَ بالمشكلات بالنسبة إلى الزواج المُتأخّر هو أنّ النشاط الجنسي لا يُؤوى (يُستَوعَب) إلا داخل إطار الزوجية، وفق التقاليد المسيحية والإسلامية كليهما. وبينما يتفاوض الشباب والشابات على مسائل الدراسة، والتشغيل والزواج، فإنهم يجب أن ينظروا في هذه القرارات من منظور الحصول على تعويض اقتصادي إضافي لاقتصادات بلدانهم التي تكتنفها التّحدّيات فعلاً، والتي تتّصف بارتفاع معدل البطالة بين الشباب فيها؛ أي: كلفة الزواج.

ورغم اهتمام اليافعين والشباب بالمواعدة أو بالبحث عن شريك في الزواج، فإنّ العوائق المالية للزّواج تبقى ضخمةً، ويَقضي اليافعون والشباب سنوات ليس للبحث عن زوج / زوجة مناسب / مناسبة وملائم / ملائمة توافق عليهم أُسر الأزواج ذكوراً وإناثاً فحسب، بل إنّهم، ومعهم آباؤهم وأمهاتهم، يُنفقون سنوات وهم يُجمّعون الأموال اللازمة لتغطية تكاليف الزواج. وتُعتبرُ المتطلباتُ المالية الأساسية للزواج، رغم تباينها بحسب الطبقة الاجتماعية، والمنطقة، والتعليم، والمعايير الأخرى، عاملاً مهمّاً لتأخير الزواج.

يُوجدُ في الوقت الحاضر أعدادٌ أكبر بكثير من ذي قبل من النساء العزباوات في أنحاء منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا كافةً، من اللواتي حصلنَ على مستوى تعليميّ جيّد، وقد اخترنَ إما أنْ يبقين عزباوات، وإما أنّهنّ كُنّ ولا يَزِلنَ غير قادرات على العثور على شريك ملائم ذي تعليم ملائم، وله وضع اقتصادي، وصاحب نظرة عالمية الأُفُق. ولكنّهنّ كفئة اجتماعية جديدة نسبياً، فقد "تحدّثت تلك النساء عن الحاجة إلى أنْ يكنّ مُبْدعات، وإلى أنْ يَجِدْنَ طرائق للمحافظة على وضعهن، ولأنْ يعشنَ في مجتمع يَنظرُ إليهنّ على أنّهن منحرفات" (جارالله، ٢٠٠٨). وقد شرحت إحدى النساء العزباوات، البالغة من العمر ٤٢ عاماً، من رام الله في الأرض الفلسطينية المحتلة الوضع، قائلةً: "في مجتمعنا قيمةُ المرأة أو ما تَستحقّه من قيمة تتمثّلُ في وجود زوجها وأطفالها، وهي كفرد تأتي في المرتبة الثانية الأفضل (بعد الرجل) بصرف النّظر عمّا تملك، ولا يُنظر إليها كفرد بحدّ ذاتها (...)."

المراجع الرئيسة:

١. بركات، حليم. "العالم العربي: المجتمع، الثقافة والدولة." ١٩٩٣.
٢. بيات، عاصف. الحياة كالسياسة: كيف يُغيّر الناس العاديون الشرق الأوسط. مطبعة جامعة ستانفورد، ٢٠٠٩.
٣. Brotman, sam et. al. Implementing CEDAW in North Africa and the Middle East: Roadblocks and Victories. Committee on the Elimination of Discrimination against Women، ٢٠٠٨.
٤. جارالله، يارا. أنماط الزواج في فلسطين. سلسلة أوراق العمل البحثية بمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، مكتب المراجع السّكانية، ٢٠٠٨.
٥. ملحم أبو حمدان، ماجد. الطرق الاجتماعية والأسرية في التنشئة وأثرها على مشاركة الشباب في عملية صنع القرار داخل الأسرة. دراسة ميدانية، دمشق: جامعة دمشق – كلية الآداب والإنسانيات، كانون الثاني / يناير ٢٠٠٨.
٦. رشاد، هدى وآخرون. الزواج في العالم العربي. مكتب المراجع السكانية، ٢٠٠٥.
٧. Singerman, Diane. Youth and Marriage in MENA and Iran: A short brief.Working Paper Series. Beirut: AUB-IFI، ٢٠١٠.

الفصل — ٥: الفتيات اليافعات

الخبرة المتُعلّقة بالنوع الاجتماعي في تنشئة يافعة أو شابة عربية

قائدا فريق المؤلفين: رامي ج. خوري ودينا شحاته.

المُســـــاهمـــــــون: بربارا إبراهيم، غريغوري غاوسي وكريستين أسعد.

الاستنتاجات الأساسية:

تَظهرُ الفروقاتُ في النّوع الاجتماعي أولّ ما تظهر أثناء مرحلة المراهقة، ثمّ يجري توكيدها تلك المرحلة (برسوم ٢٠١٠). وتُوفّر الكيفيةُ التي يُطَوّر اليافعون والشباب بوساطتها توجّهاتهم نحو المساواة في النّوع الاجتماعي معلومات مهمة حول أدوارهم في المجتمع، وكذلك حول طموحاتهم. فالتّفاوتاتُ تكون حاضرةً في معظم الأحوال في مجالات التعليم، والتّشغيل، والمشاركة المدنية والسياسية، والوصول إلى الخدمات الصحية والقانونية.

وتُشيرُ بيانات الدراسات المسحية، التي أُجريت مؤخراً في المنطقة على توجّهات وقيم اليافعين واليافعات، إلى أنّ البنية الأبوية التقليدية للأسرة هي المُهيمنة في كل أنحا العالم العربي، حيث تُخصّص أدوارٌ تقليدية خاصة بالنّوع الاجتماعي لأرباب الأسرة الذكور والإناث، وهي أدوارٌ تُعزّزُ عن طريق التفاعل الاجتماعي والتّسويغات العقلانية. فمن الناحية التقليدية، يمتلك الأبُ السلطة، والمسؤولية، ويتوقّعُ الاحترامَ، بينما تنضمُّ الزوجة إلى مجموعة أقارب الزوج، وبالتالي، فإنّ أعمالها ومسؤولياتها كزوجة موجودةٌ لدعم الأب (بركات، ١٩٩٣). وفي حين أنّ هذه الأدوار الأبوية التقليدية المرتبطة بالنوع الاجتماعي قد أخذت في التّغيّر بوتيرة بطيئة، إلا أنّها تبقى أكثر انتشاراً، في معظمها، في أوساط الفئات السكانية الريفية والمتدنية الدخل، وهي غالباً ما تُعزّز توجّهات اليافعين العرب نحو أدوار تتعلق بالنوع الاجتماعي ونحو المساواة في النوع الاجتماعي (أي بين الجنسين).

على سبيل المثال، فوفقاً لدراسة مسحية تمثيلية أجراها مجلس السكان على المستوى الوطني على ١٥،٠٢٩ شخصاً من اليافعين والشباب في مصر في عام ٢٠١٠، فإنّ واحداً من كل ثلاثة ذكور يافعين وشباب يعتقد أنّ تعليم الأولاد (الفتيان) أكثر أهميةً من تعليم البنات (الفتيات)، وأنّ أكثرية الأولاد والبنات لا يعتقدون بأنّ الأولاد يجب أن يُمارسوا العمل المنزلي بالقَدْر نفسه الذي تُمارسه الفتيات. وعلاوةً على ذلك، فإنّ أكثر من ٧٠ في المئة من اليافعين والشباب و ٤١ في المئة من اليافعات والشابات يوافقون على أنّ الفتاة يجب أن تُطيع رأي أخيها، حتّى وإن كانت شقيقةً له أكبر منه سنّاً (مجلس السكان ٢٠١٠، صفحة ٢٠).

يُحَدّدُ تمكينُ الفتيات اليافعات والشابات ومحاربةُ التّنميطات المرتبطة بالنوع الاجتماعي كعنصرين مُهمّين لتناول مسألة التمييز في النوع الاجتماعي، ولتعزيز التنمية المستدامة للمجتمع ككل. فالمساواةُ بين الجنسين تُتيح الفرصةَ لوجود يافعات وشباب أكثر سعادةً، وأعفى صحةً وأكثر تعليماً لكي ينموا ويتطوّروا ويُصبحوا مواطنين مُنتجين.

وتُؤكّد الاتّجاهات في توجّهات اليافعين والشباب العرب نحو أدوار النوع الاجتماعي والمساواة بين النوع الاجتماعي ثلاثةَ أنماط مميّزة لاستخدام الوقت وللوصول المكاني. أوّلُها، هو أنّ اليافعين والشباب يقضون وقتاً أكبر بكثير في العمل المدفوع الأجر من اليافعات والشابات. ونتيجة لذلك، تُحالُ اليافعات والشّابات إلى المجال الخاص، بينما يدخل اليافعون والشباب إلى المجال العام. أما النمط الثاني فهو أنّه كُلّما تقدّم العُمُرُ باليافعين واليافعات، ازداد عدد الساعات التي يقضونها ذكوراً وإناثاً في الوفاء إما بالمسؤوليات الاقتصادية أو غير الاقتصادية.

وأما النمط الثالث فهو أنّ الفتيات والشابات يُتاحُ لهنّ وقتاً أقلّ لأغراض النشاطات في أوقات الفراغ، مقارنةً بما يُتاح لنظرائهن الذكور. وتعكس منظماتُ اليافعين واليافعات ونشاطاتهم جميعاً منظمات ونشاطات عالم الكبار الراشدين في تلك المجتمعات (مجلس السكان ٢٠١٠، صفحة ٢٠). وتتفاوتُ أنماطُ استعمال الوقت في أوساط الفتيات والفتيان بحسب الخلفية الاجتماعية – الاقتصادية، والعُمُر، والوضع الاجتماعي (متزوجون أم غير متزوّجين)، ومنطقة الإقامة، وإمكانية الوصول إلى سبل النقل والمواصلات، والوسائل المالية المستقلة.

وبالرّغم من هذه الأدوار المُعرّفة للنوع الاجتماعي، فإنّ رضا اليافعين والشباب العرب عن الحياة لا يبدو أنّه يتغيّر حسب النوع الاجتماعي، ولكنّه يتفاوتُ بصفة أساسية بين الدول ذات الدخل المنخفض والعالي وذات الدخل المتوسط (صلتك، ٢٠١٠). وفي الحقيقة فإنّه يُوجَدُ في البلدان مرتفعة الدخل، نسبة ١٠ في المئة من السكان الإناث ممّن يكملن التعليم ما بعد الثّانوي، ولكنْ لا يصل إلى هذه المرحلة التعليمية من السكان الذكور إلا نسبة ٤ في المئة. وتقتضي الحاجةُ إجراءَ المزيد من الأبحاث لشرح هذا الوضع.

على الرّغم من التمثيل المتزايد لليافعات والشابات في نظام التعليم، فإنّهنّ ما يزلن يواجهنَ مسألة امتلاكهنّ سُلطةً محدودةً على صنع القرار، وبصورة عامة فإنّهنّ لا يُمَثّلْنَ بالمستوى المطلوب في المجالين العام والاقتصادي. وهُنّ يُواجهنَ تحدّيات كبيرة من حيث التّشغيل في ظلّ الأزمة المالية العالمية، وتَشَبّع السّوق في العالَم العربي ممّا يؤثّر على كل الشباب. وتاريخياً في هذه المنطقة، فإنّ الرجال كانوا وما يزالون يقومون بأكثرية العمل المدفوع الأجر، وإنّ النساء كنّ وما يزلنَ يقمنَ بالعمل غير المدفوع الأجر. ومع ذلك، ففي ظلّ التّغيّر الذي يشهده العالم العربي والانتفاضات العربية وتكاليف المعيشة الآخذة في الارتفاع، فإنّ دور المرأة آخذٌ في التّغيّر، كما أنّ تمثيلها هو الآخر آخذٌ في الارتفاع نتيجة لذلك.

تُبَرّرُ داخلَ منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا أدوارُ النوع الاجتماعي، إلى حدّ كبير، بسبب المُحاجَجات المستندة إلى الحتمية البيولوجية، والثقافة والدّين، باعتبارها تعريفات شائعة للقيمة الذكورية، مثل خصال العدوانية، والتّنافسية، والهيمنة، والقوة، والشجاعة والسيطرة. ويُمكنُ لتهميش المرأة، من خلال الأفعال العنفية القائمة على الانتقائية في نوع الجنس (الذي يقع عليه العنف)، ومن خلال الهيمنة على المجال الاجتماعي كليهما، أنْ يُصبح مسألةً لتوكيد ذكورية الشخص. ونتيجةً لذلك، فإنّ الظواهر من قبيل العنف المنزلي، وبتر/تشويه الأعضاء التناسلية الأنثوية، وجرائم الشرف، تُصبحُ مقبولةً اجتماعياً في بعض المجتمعات.

ورغم المعاملة التفضيلية والخبرات في التنشئة ذات الصلة بالنوع الاجتماعي، فإنّ اليافعين واليافعات في المنطقة يدركون بحماسة الأدوارَ الحمائية والتقييدية التي تلعبها الضوابط الوالدية المفروضة عليهم. فقد حدّد اليافعون واليافعات، أثناء نقاشات المجموعات الحوارية المركّزة، التي عقدت معهم في المدارس في أنحاء لبنان كافة، كلاً من التوجّهات الإيجابية والسّلبية لعلاقاتهم مع والديهم.

حالة دراسية:

كيف قضيت يَومَكَ يوم أمس؟ الفروقاتُ في النّوع الاجتماعي من حيث استعمال الوقت في أوساط اليافعين والشباب في مصر (بقلم غاده برسوم، الجامعة الأمريكية في القاهرة)

يُبيّنُ التّحليلُ الذي أُجري في عام ٢٠١٠ في مصر أنّ اليافعات والشابات يَحْصرْنَ نشاطاتهنّ الاقتصادية وغير الاقتصادية في المجال الخاص للأسرة المعيشية. ويبدو الالتحاقُ بالمدرسة والتّعلّم مجالاً حياديّاً من حيث النّوع الاجتماعي في مصر. فبعيداً عن التّعلّم والدّراسة، تستمر الفروقات في النوع الاجتماعي في كونها بارومترات (مقاييس) مُعَرّفة بشأن كيفية قضاء اليافعين والشباب أوقاتهم. وتُعَرّفُ أعرافُ النوع الاجتماعي النّشاطات التي تُقضى في أوقات الفراغ؛ إذ تقضي الفتيات واليافعات والشّابات أوقاتهنّ في مشاهدة التّلفاز بصفته شكل التّسلية الأكثر سهولةً في الوصول إليه. ومن النشاطات الأخرى الحيادية نسبياً، من حيث النوع الاجتماعي، أداءُ فريضة الصلاة، التي تؤدّى على قدم المساواة من جانب الذكور والإناث.

ورغم مرور عقود من الزمان على الاستثمار الأساسي في التعليم في مصر، إلا أنّ حوالي نسبة خمسة بالمئة من اليافعين والشباب الذكور، ومن الإناث في الفئة العمرية ١٠ سنوات إلى ٢٤ سنة، لم يلتحقوا أبداً بالمدارس. وهؤلاء اليافعون والشباب من الجنسين ينحدرون أساساً من أكثر الأُسر فقراً، ومن المناطق الريفية في المنطقة الجنوبية من صعيد مصر.

وبالنسبة إلى الإناث من هذه الفئة العمرية فإن النشاطات الأساسية التي تُقضى في استعمال الوقت، هي الأعمال المنزلية، ورعاية الأشقاء، أو الأطفال الذين تتكوّن منهم أُسَرهنّ. وبالنّسبة إلى نظرائهنّ الذّكور، فالعملُ مدفوعُ الأجر في الزراعة هو النّشاط الأساسي الذي يُقضى في استعمال الوقت.

أمّا وقت المدرسة فهو، بصورة عامة، الوقتُ نفسه للفتيات والفتيان. والتّلفاز هو المصدر الرئيس للتسلية بالنسبة إلى الإناث في مصر، اللواتي يقضين وقتاً أكثر من الذكور في مشاهدته ("٢،٢" ساعة يومياً)، ولا سيّما في المناطق الريفية. لكنّ استعمال الإنترنت ليس نشاطاً يومياً بالنسبة إلى معظم اليافعين والشباب المصريين ذكوراً وإناثاً. ففي حين أنّ الإناث يستعملن شبكة الإنترنت لمد "١،٨" دقيقة يومياً، فإنّ الذكور يستخدمونها حوالي ٦ دقائق يومياً. أمّا الخروج مع الأصدقاء فيبدو أنّه شكلٌ من أشكال المُتعة المُقتَصرة على الذكور. والصلاةُ هي نَشاطٌ آخر رئيس من النشاطات التي يقضيها الذكور والإناث من اليافعين والشباب في مصر، في استعمال الوقت، ويقول ٨٦ في المئة منهم أنّهم ملتزمون دينياً. ويميل الذكور اليافعون والشباب إلى قضاء وقت أكثر قليلاً من الوقت الذي تقضيه الإناث في أداء النشاطات الدينية خارج المنزل، بينما تؤدي اليافعات والشابات الصلاة داخل بيوتهنّ.

المراجع الرئيسة:

١. برسوم، غاده. استعمال الوقت في أوساط الفتيات اليافعات في مصر. سلسلة أوراق العمل البحثية، بيروت: الجامعة الأمريكية في بيروت – معهد عصام فارس للسياسة العامة والشؤون الدولية.

٢. كلية دبي للإدارة الحكومية. النوع الاجتماعي والسياسة العامة. دبي: كلية دبي للإدارة الحكومية، ٢٠١١.

٣. كلية دبي للإدارة الحكومية. المساواة في النوع الاجتماعي في الإمارات العربية المتحدة: مُحرّكٌ للتّنافسية المتزايدة؟ موجز السياسات، دبي: كلية دبي للإدارة الحكومية، حزيران / يونيو ٢٠٠٨.

٤. غرامي، أمل، وزاهية اسماعيل الصالحي. "النوع الاجتماعي والعنف في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا." الاجتماع الثاني عشر للأبحاث المتوسطية. نيسان / أبريل ٢٠١١.

٥.مجلس السكان. دراسة مسحية لليافعين والشباب في مصر. تقرير أولي، مجلس السكان، ٢٠١٠.

٦. Silatech and Gallup Inc. The Silatech Index: Voices of young Arabs. Silatech and Gallup Inc., November ٢٠١٠.

٧.منظمة الأمم المتحدة للطفولة "يونيسف". "النساء والأطفال: العائد المزدوج للمساواة بين الجنسين. "تقرير وضع الأطفال في العالم، منظمة الأمم المتحدة للطفولة. اليونيسفن ٢٠٠٧.

٨. الشباب في منطقة اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (الإسكوا): تحليل الوضع وتبعات السياسات التنموية. نيويورك: قسم السكان والتنمية الاجتماعية – شعبة التنمية الاجتماعية، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (الإسكوا)، ٢٠٠٩.

الفصل — ٦:

الــهوية الجنسـية للشــباب العربي

المؤلّـــف الـــــرئيس: نيكـــولا بُل.

المُســـاهمـــــون: شيرين الفقي

النتائج الأساسية:

رَغم توافر مقدار ضئيل جداً من البيانات، يبدو أنّ الأدلّة تُشير إلى أنّ معظم اليافعين والشباب بمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا لا يُمارسون الجنس إلى أنْ يتزوّجوا، وأنّ المنطقة تشهد بضع حالات من الحمل غير المرغوب فيه، وأنّ عدد حالات العدوى المنقولة جنسياً تبقى متدنيةً. وفي الحقيقة، فإنّ الكثير من القيم الاجتماعية، والدينية والثّقافية في المنطقة قد عملت على حماية اليافعات والشابات واليافعين والشباب من السلوك المحفوف بالمخاطر.

في منطقة الشرق الأوسط كلها، كثيراً ما عزّزت وتُعَزّزُ العلاقات الاجتماعية، والدينية والثّقافية الإيجابية، وشجّعت وتُشجّع على ممارسة خيارات سلوكية أكثر أماناً، ولكنها عزّزت وتُعزّز كذلك صَمتاً مُطْرِشاً بشأن القدرة الجنسية لليافعين والشباب خارج حدود إطار الزّوجية. وتضع أغلبيةٌ كبرى من الكبار الراشدين واليافعين والشباب بمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا قيمةً كبرى للزواج، ويعتقدون اعتقاداً قويّاً بأنّ ممارسةَ الجنس قبل الزواج أمرٌ خاطئ. ومع ذلك، تُسجّل بعض التغييرات في هذا الوضع، حيث جرى رفع السنّ الدنيا للزواج، وفي أكثر من ثلث البلدان، ازداد متوسط العمر في الزواج الأول بين "٤،٧" و "٧،٧" سنة في السنوات العشرين الأخيرة.

وفي وقت ما من الحياة، حيث يُصبح اليافعون والشباب على وعي كبير بهويتهم ورغباتهم الجنسية، فإنّهم يجدون أنّهم لا يملكون منفذاً مقبولاً اجتماعياً للتعبير عن حاجاتهم الجنسية. ونتيجةً لذلك، فقد أخذ اليافعون والشباب يبحثون عن طرائق بديلة لممارسة الجنس "المحظور" من الزيجات غير التقليدية (بما فيها الزّيجات المؤقتة- "زواج المُتعة") في لبنان، إلى جانب زيجات الصيف، والزواج "العُرْفي" في مصر (شيبارد و ديجونغ Shepard & Dejong ، ٢٠٠٥، الصفحات ٢٣ – ٢٤)
ويَخلُصُ تحليلٌ أجراه البنك الدولي إلى أنّه مع ارتفاع سنّ الزواج، فقد أخذت تتراجعُ الأشكال التقليدية لإدارة القدرات الجنسية لدى اليافعين والشباب في كل أنحاء منطقة الشرق الأوسط، وربما ينخرط اليافعون والشباب، بصورة مطّردة، في سلوكات خطرة بهدف تبديد طاقاتهم الجنسية (أبو ردّاد ٢٠١٠، صفحة ١٣٢).

ثمّةَ نقصٌ في توافر البيانات الخاصة بالعُمُر تحديداً؛ وذلك نظراً لأنّ الحكومات في المنطقة مُتردّدةٌ في التّحقيق في هذا الموضوع الحسّاس. بَيْدَ أنّ الدراسات تؤكّد أنّ الذكور اليافعين والشباب يُمارسون الجنس مع ذكور آخرين – وهم صغار السّنّ – رغم البيئة القانونية العدائية لهذه الممارسة، ووصمة العار الاجتماعية المُذهلة التي تُرافق هذه الممارسة. لقد أظهرت دراسةٌ للذكور الذين يُمارسون الجنس مع الذكور في السودان أنّ ٨٥،٥ في المئة من المشاركين في الدراسة قد سبق لهم أن مارسوا الجنس الشّرجي للمرة الأولى بين سنّ ١٥ و سنّ٢٥ سنة (أبو ردّاد ٢٠١٠، صفحة ١٢٨). وتُبيّن البيانات المُستقاة من برنامج الأمم المتحدة المشترك لمكافحة الإيدز "UNAIDS" أنّ الرجال الذين يمارسون الجنس مع الرجال معرّضون لخطر أعلى للعدوى بفيروس نقص المناعة البشري، مع وجود حوالي ٥ في المئة منهم مصابون بهذا الفيروس في مصر (٥،٦ ٪)، وفي تونس (٤،٨ ٪) و (١ ٪) في لبنان (برنامج "UNAIDS" ٢٠١٠، صفحة ٢٠٠). كذلك فإنّ الإناث والذكور اليافعين والشباب يُمارسون الجنس إمّا كعاملين في الجنس، وإمّا مع العاملات في الجنس. وقد أظهرت دراسةٌ أُجريت في السودان أنّ غالبية العاملات في الجنس كنّ دون ٣٠ عاماً، وأن ١٩،٦ في المئة منهنّ كُنّ دون ١٨ عاماً. كذلك فإنّ أكثر من نصف العاملات في الجنس في سوريا كُنّ في سنّ ٢٥ عاماً أو أصغر، بينما قالت نسبة ٦٣ في المئة من العاملات في الجنس في جيبوتي أنّ أولّ ممارسة جنسية تجارية لهنّ وقعت عندما كُنّ ما يزلن يافعات (مراهقات).

وفي عام ٢٠٠١، قَدّر برنامج "UNAIDS" أنّ ١٨٠،٠٠٠ راشد وطفل في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا متعايشون مع فيروس نقص المناعة البشري. وبحلول عام ٢٠٠٩، ارتفع هذا العدد إلى ٤٦٠،٠٠٠ (برنامج "UNAIDS"، ٢٠١٠، صفحة ١٩٤). أمّا الذكور اليافعون والشباب فهم محور هذا الوباء، وأما الإناث اليافعات والشابات فهنّ معرّضات إلى خطر أكبر. ففي عام ٢٠٠٩، بلغ عدد الإناث اليافعات والشابات المصابات بفيروس نقص المناعة البشري وعدد الذكور اليافعين والشباب المصابين به، في الفئة العمرية ١٥ – ٢٤ عاماً، ٦٢،٠٠٠ و ٣٢،٠٠٠ على التوالي (اليونيسف ٢٠١١، صفحة ٤٢). ويُشكّل اليافعون والشباب، في الفئة العمرية ١٥ – ٢٤ عاماً، حوالي ربع (٢٣ في المئة) الكبار الراشدين في الفئة العمرية ١٥ عاماً فأكثر من المتعايشين مع فيروس نقص المناعة البشري (اليونيسف ٢٠١١، صفحة ٤٣).

وتُظْهِرُ البيانات المحدودة عن حالات العدوى المنقولة جنسياً أنّ تلك الحالات هي أكثر شيوعاً بين صغار السّنّ من الكبار الراشدين في الفئة العمرية بين ١٥ و ٢٩ عاماً منها بين الفئات العمرية الأكبر سنّاً (اليونيسف ٢٠٠٩، صفحة ٣٩). وقد وُجِدَ أنّ حوالي ثلثي حالات العدوى التي وقعت في مصر كانت في أوساط اليافعين والشباب من الكبار الراشدين العازبين (أو "العوازب")، بصفة مهيمنة.

يبدأ اليافعون والشباب بتعاطي المُخدرات في سنّ مبكرة، وهذا يُؤثّر على قدراتهم في انتقاء خيارات أكثر أماناً، مع وجود تبعات أيضاً خاصةً بصحتهم الجنسية. ويبدو أنّ التّبغ، والحشيس، والعقاقير المُهدِّئة، والأفيون، والمُنَبِّهات هي المواد الأكثر استعمالاً (اليونيسف ٢٠٠٩، صفحة ٤٥).
تأتي البياناتُ عن معارف اليافعين والشباب الخاصة بالصحة الجنسية والصحة الإنجابية، المنطقة تتوافر لديهم معرفةٌ صحيحة. ولا يزالُ اليافعون والشباب لا يستطيعون الحصول على المعلومات التي يحتاجون إليها في الوقت المناسب لحماية أنفسهم من العدوى بفيروس نقص المناعة البشري، على أنْ تكون المعلومات جديرة بالاعتماد عليها، وموثوق بها، وذات صلة، وملائمة للعمر . فنسبة ١٣ في المئة من اليافعين والشباب في الجزائر والأردن يحصلون على المعلومات بصورة كافية، بينما يحصلُ أقلّ من نسبة ٧ في المئة منهم في سورية، و ٣ في المئة في العراق و ٢ في المئة من اليافعين والشباب في اليمن على المعلومات الصحيحة.

١. يقيس برنامج "UNAIDS" مستوى المعرفة بفيروس نقص المناعة البشري، كنسبة مئوية من الأشخاص في الفئة العمرية من ١٥ إلى ٢٤ عاماً، ممّن يستطيعون تعريف الطريقتين الرئيستين للوقاية من انتقال العدوى بفيروس نقص المناعة البشري عن طريق ممارسة الجنس (باستخدام الواقيات، واقتصار ممارسة الجنس على شريك مُخلص، وغير مصاب بهذا الفيروس)، وممّن يرفضون المُعتقَدين الأكثر خطورةً عن انتقال فيروس نقص المناعة البشري، وممّن يعرفون أن الشّخص الذي يبدو مُعافىً صحيّاً يُمكن أن يكون مصاباً بهذا الفيروس.

يُوجَدُ قَدْرٌ ضئيلٌ من المعلومات أو لا تُوجد معلومات أبداً لتقييم المدى الذي يحصل فيه اليافعون والشباب على خدمات الصحة الجنسية والصحة الإنجابية، أو الذي يواجهون فيه حاجات إلى تلك الخدمات غير مُلَبّاة. وتجعل المحظوراتُ المُحيطة بممارسة الجنس قبل الزواج، والقوانينُ التي تُجَرّم العمل في مجال الجنس كما تُجَرّم ممارسة الرجال الجنس مع الرجال عمليةَ توفير الخدمات الملائمة إلى تلك الفئات السكانية أمراً مستحيلاً تقريباً. كذلك فإنّ المواقف التي غالباً ما تكون تمييزية لدى الكثير من العاملين في مجال الصحة ولراسمي السياسات تُمثّل مشكلة أيضاً. ولم يقم معظم البلدان، بطريقة مُمنهجة، بتلبية الحاجة المُلحّة إلى خدمات الصحة الجنسية والصحة الإنجابية الموجّهة والخاصة بفئة عمرية محدّدة بعينها. وقد طوّرت تونس وحدها برنامجاً وطنياً خاصاً بالصحة الجنسية والصحة الإنجابية لليافعين والشباب.

ونادراً ما تكون البياناتُ القليلة المتوافرة عن القدرة الجنسية لليافعين والشباب مصنّفةً حسب العمر أو الجنس، ولا تكون في العادة قابلةً للمقارنة فيما بين البلدان. وتَمتلك بِضعُ مؤسسات بحثية محلية المهارات اللازمة لجمع البيانات عن الفئات السكّانية المُهمّشة والمعرّضة للمخاطر، وهذا يُصبحُ أكثر صعوبةً عند إجراء الأبحاث في أوساط اليافعين واليافعات مِمّن هم دون سنّ الثامنة عشرة.

ممارسةُ الجنس لا تكون دائماً أَحدَ الخيارات، وبخاصة في المناطق المتأثّرة من النّزاع وفي الشوارع، حيث يكون الأطفال واليافعون والشباب، مستضعفين معرّضين بصورة خاصة للاغتصاب، والاستغلال الجنسي والإساءة الجنسية. ويُعرَفُ القليلُ عن المدى الذي يبلغه الاغتصاب، وزِنى المحارم (سفاح القُربى)، والإساءة الجنسية والتّحرّش الجنسي الذي يواجهه اليافعون والشباب في المنطقة، ولكنّ البيانات تُوحي بأنّ تلك الأفعال تأخذ مجراها. وفي لبنان، أظهرت دراسةٌ مَسحيةٌ أنّ واحداً من كل خمسة طلبة ذكور تقريباً، وأكثر بقليل من نسبة ١٥ في المئة من نظرائهم الإناث أبلغوا عن وجود تحرّش الجنسي.

وقد وجدت دراسةٌ أُجريت على فتيات وفتيان الشوارع في الفئة العمرية ١٢–١٧ عاماً أنّ نصفهم تقريباً سبق له أنْ مارس الجنس. وقال ١٥ في المئة تقريباً من الفتيان وحوالي ثلث الفتيات أنّهم جميعاً قد انخرطوا في ممارسة الجنس التجاري، وكانوا بالتالي مُسْتَغَلّين جنسياً. كذلك سبق لثلاثة أرباع الفتيان أنْ شاركوا في ممارسة الجنس مع ذكور آخرين، وقال أكثر من ثلثهم (٣٧ في المئة) أنّهم أُرغموا على ممارسة الجنس مع الذكور – تماماً كما قالت نسبة ٤٥ في المئة من الإناث بأنّهنّ أُرغمنَ على ذلك. وأبلغ الكثيرُ منهم بأنّهم قد تعاطوا المخدرات، وعدد قليلٌ منهم فقط قال بأنّهم استعملوا الواقيات (أبو ردّاد ٢٠١٠، صفحة ١٣٩).

© UNICEF/NYHQ2007-2491/Shehzad Noorani

تحمي الأعرافُ الاجتماعية السائدة في هذه المنطقة اليافعين والشباب من الذكور والإناث، ولكنها تقمع القدرات الجنسية لديهم التي قد ينتهي بها المطاف إلى تعريضهم إلى خطر أكبر. ففي السنوات الأولى من الزواج، تمتلكُ الفتياتُ والشابات قَدْراً ضئيلاً من السّيطرة على القرارات الأساسية داخل الأسرة المعيشية أو إنّهنّ لا يمتلكن أية سيطرة عليها. فما أنْ تَتزوّج الشاباتُ حتى يجدنَ أنفسهنّ في غالب الأحيان تحت ضغط كبير من أُسَرهنّ لإنجاب الأطفال في أسرع وقت ممكن. ومع ذلك فقد انخفضت معدلات الخصوبة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا انخفاضاً كبيراً خلال السنوات الثلاثين الماضية.

ويُسجِّل اليمن والأرض الفلسطينية المحتلة والسودان أعلى معدلات الولادات في أوساط اليافعات في الفئة العمرية من ١٥ إلى ١٩ عاماً. وتُوجد أدنى معدلات حمل اليافعات في ليبيا، والجزائر وتونس (يونيسف ٢٠٠٩).

تُقدِّم المدارسُ فرصةً هائلةً لتعزيز الصحة الجنسية والرّفاه لليافعين والشباب في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ولا سيّما مع الزّيادات التي وقعت في معدلات الالتحاق ومع المستويات المرتفعة نسبياً (على نحو مُقارَن) في معرفة القراءة والكتابة لهذه المنطقة. وتستطيع المدارسُ أن تُوفّرَ معلومات بالغة الأهمية حسب الأعمار والنّوع الاجتماعي عن اليافعين والشباب ذكوراً وإناثاً، وأنْ تُعلّمهم المهارات الحياتية.

ومن الجدير بالملاحظة أنّ سلوكات اليافعين والشباب وتوجّهاتهم وطرائق التّواصل معهم آخذةٌ في التّغيّر التدريجي على مستوى المنطقة. إذْ يُطالب اليافعون والشباب بتغييرات سياسية، واجتماعية واقتصادية سوف تؤثّر بصفة أساسية على حقوقهم الجنسية ورفاههم الجنسي، بما في ذلك حقوقهم في الحصول على المعلومات والخدمات مجانا من كل أنواع التمييز.

المراجع الرئيسة:

١. أبو رعد، ليث وآخرون. توصيف وباء فيروس نقص المناعة البشري / الإيدز بمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا: حان الوقت من أجل عمل استراتيجي. البنك الدولي، ٢٠١٠.

2. Abu-Raddad, Leith et al. Characterizing theHIV/AIDS Epidemic in the Middle East and North Africa: Time for strategic action. World Bank, 2010.
3. Guidance Brief HIV Intervention for Most-at-Risk Young People. Inter-Agency Task Team (IATT) on HIV and Young People, 2008. Shepard, Bonnie L., and Jocelyn L. Dejong. "Breaking the Silence: Young people's sexual and reproductive health in the Arab states and Iran." 2005.
4. UNAIDS. Global Report: Report on the Global AIDS Epidemic. UNAIDS, 2010.
5. UNAIDS. Making the Law Work for the HIV Response: A snapshots of selective laws that support or block universal access to HIV prevention, treatment, care and support. UNAIDS, 2008.
6. UNICEF. Adolescents and Youth in the Middle East and North Africa. Data Sheet, UNICEF, 2011.
7. UNICEF. Opportunity in Crisis: Preventing HIV from Early Adolescence to Young Adulthood. UNICEF, 2011.
8. UNICEF. Situation of Adolescents and Youth in the Middle East North Africa Region: A desk review of data on current trends and emerging issues.UNICEF, 2009.

الفصل –٧:

الهجرة الجماعية للشباب:

الرغبة في الهجرة

قـــائد فـــريق المؤلّفـــين: لوكـــاس نيلسِن.

المُســـاهمـــــون: رامي ج. خوري، أيمن زهري،

محمد يونس وأحمد يونس.

الاستنتاجات الأساسية:

هجرةُ الشباب العربي ظاهرةٌ ذات أبعاد وخصائص كثيرة، تعكسُ كلاً من الأبعاد الإيجابية والمُزعجة لليافعين والشباب ولمجتمعاتهم. فالافتقار إلى الفرص الوظيفية، وعدم التوافق العام بين مهارات الخريجين الجُدد والفرص المتوافرة لهم في سوق العمل، وتدني الأجور، والبطالة والفقر هي بعض العوامل الدافعة التي تحفز اليافعين والشباب على الهجرة. وتُشكّل إمكانيةُ الحصول على راتب أعلى، ووجودُ طلب مرتفع من جانب الأسواق في الخارج، وشبكاتُ المهاجرين بعض أقوى عوامل الجذب التي تحفز اليافعين والشباب على البحث خارج بلادهم عن التّخصص الأكاديمي، والتطوير المهني، وتحقيق الذات مهنياً.

ومن الاتّجاهات الواضحة في الهجرة العربية ما يفيد أنّ الشباب من منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ينتقلون من مكان إلى آخر ضمن المنطقة، وفيما وراءها، بمقياس غير مسبوق. فمعظم المهاجرين العرب هُم من الشباب، وثلاثة أرباع المهاجرين العرب هم دون سنّ ٣٥ عاماً، و ٥٠ في المئة منهم هم دون سنّ ٢٥ عاماً (اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا "الإسكوا" – ٢٠٠٧).

وتُسهم أربعة عوامل أساسية في هجرة الشباب من المنطقة، وهي:
١) العدد المتزايد من الشباب في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.
٢) العدد المتنامي من العاملين الشباب الحاصلين على مستوى جيد من التعليم، ممّن يواجهون ظروف تشغيل رديئة.
٣) الكثافة السكانية.
٤) النزاعات التي لم تُوجد لها حلول. (Fargues ٢٠٠٨، صفحة ٣)
ومع أنّ أنماط هجرة الشباب مُعَقّدةٌ ومتغيّرةٌ باستمرار، ثمّة أنماطٌ واضحةٌ نشأت في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. فالهجرةُ عَبْرَ المنطقة تُوفّر للشباب فيها فرصةً لتلبية حاجاتهم والسعي وراء تحقيق طموحاتهم من دون التّخلّي عن الكثير من جوانب ثقافتهم، وهويتهم وعاداتهم.

فالاتفاقاتُ دون الإقليمية (على مستوى منطقة دول مجلس التعاون الخليجي، ومنطقة دول المشرق العربي، ومنطقة دول المغرب العربي) تسمح للكثير من المواطنين العرب بالدخول إلى البلدان العربية الأخرى من دون تأشيرات دخول، مما يجعل عملية الهجرة حتى أكثر يُسراً وسهولةً. وفي الوقت ذاته، فإنّ الهجرة عَبْرَ المنطقة تَروقُ للكثير من الشباب في منطقة الشرق الأوسط كذلك، مع بقاء بلدان الاتحاد الأوروبي ومنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية جذّابةً لهم لأسباب تتعلّق بالتعليم والتّشغيل والأمان.

وتُبْرِزُ أفواجُ المهاجرين المُتدفقة، التي لا يُمكن التّنبؤ بها، مجالين من الإشكالات لم يُعالَجا تماماً في المنطقة. أولاهما، أنّ معظم العاملين (العمال) المهاجرين يملكون قدْراً ضئيلاً من الحماية القانونية، وهم في العادة واقعون تحت رحمة البلدان المستضيفة لهم، حتى وإن كانت لديهم عقودٌ مبرمةٌ. وثانيهما، أن العودة الكبيرة والمفاجئة من الأفواج المتدفقة من العمال، بسبب الظروف السياسية، تُلْحق في بعض الأحيان أضراراً جمّةً بالاقتصادات الوطنية، كما شهد الأردن واليمن في عام ١٩٩١.

كذلك فقد أثّرت الأزمةُ الماليةُ العالميةُ على أنماطالهجرة، مما أدّى إلى خفض تدفقات التحويلات التي تؤثّر في ديناميكيات (حراكيات) هجرة الشباب. ومع ذلك، فالشباب بخاصة معرّضون للمخاطر أثناء وقوع الأزمات المالية؛ لأنّ تشغيلَ الشباب مُعَرّضٌ جداً لحالات الصعود والهبوط في الاقتصاد، ولسبب مفاده أنّ أنماط بطالة الشباب ترتبط ارتباطاً وثيقاً باتّجاهات الهجرة وتؤثّر فيها، وبخاصة بالنسبة إلى الرّجال الشباب.

لقد أظهرت الدراسةُ المسحية الإقليمية الشاملة للشباب، وهي "دليل (مؤشّرات) صِلَتك Silatech Index" الذي أجرته مؤسسة غالوب في عام ٢٠١٠، أنّ ما متوسطه ٣٠ في المئة من اليافعين والشباب، في الفئة العمرية من ١٥ إلى ٢٩ عاماً، في جميع دول الجامعة العربية التي شاركت في هذه الدراسة، يقولون بأنّهم يرغبون في الهجرة بصفة دائمة إلى بلد آخر فيما لو وجدوا الفرص لذلك. وأربعةٌ من كل ١٠ شباب ممّن يرغبون في الهجرة بصفة دائمة يُسمُّون بلداً عضواً في الجامعة العربية كَمَقْصد مرغوب فيه، والعدد نفسه تماماً يذكر اسم البلد العضو في الاتحاد الأوروبي الذي يودّون الهجرة إليه. وبصورة عامة، تأتي المملكة العربية السعودية، والولايات المتحدة الأمريكية، وفرنسا، والإمارات العربية المتحدة على رأس بلدان المَقْصد المرغوب في الهجرة إليها. فكلّما كان المستوى التعليمي للشابّ أعلى، ازداد نزوعه إلى اعتزام الهجرة. ووفقاً للدراسة المسحية، فإنّ الرّغبة في أوساط الشباب إلى الهجرة بصفة دائمة كانت هي الأعلى في تونس (٤٤ في المئة)، فليبيا والمغرب (٣٧ في المئة)، ولبنان (٣٦ في المئة) ثم في الأردن (٣٥ في المئة)، وكانت هي الأدنى في دول مجلس التعاون الخليجي: في دولة الإمارات العربية المتحدة ودولة الكويت (٢ في المئة) وفي مملكة البحرين (٤ في المئة).

وتُعْرِبُ الشابات، في الأحوال العادية، عن مستوىً من الرغبة أقل من رغبة الشباب في الهجرة. فوفقاً لاستطلاع الرأي العالمي الذي أجرته مؤسسة غالوب (٢٠١٠)، فإنّ نسبة ٤٤ في المئة من التونسيين قالوا بأنّهم يُفضّلون الرحيل بصفة دائمة إلى بلد آخر (مؤسسة غالوب ٢٠١١). وهذه هي النسبة الأعلى في العالم العربي. فنسبةُ ٦٠ في المئة من الذكور و ٤٠ في المئة من الإناث، من الشباب في دول منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، يقولون بأنّهم يرغبون في مغادرة بلدانهم بصفة دائمة فيما لو أُتيحت لهم الفرصة، ممّا يُوحي بأنّ قَدْراً من الاهتمام أكبر يجب أنْ يُولى إلى ظاهرة هجرة الشابات. غَيْرَ أنّ تركيبة النوع الاجتماعي للهجرة من منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا تظل ذكورية الطّابَع.

تُبَيّنُ الدراساتُ أنّ شبكات الهجرة تُيسّر هجرة الشباب. ففي مصر، بينما ذكرت نسبة ١٤ في المئة فقط من الشباب الطامحين إلى الهجرة بأنّ شبكاتهم تضمّ بعض المهاجرين، ذكر ٥٥ في المئة من الشباب الطامحين إلى الهجرة أنّ لديهم أصدقاء أو أقارب مهاجرون.

تُسْهِمُ الأَعدادُ المتناميةُ من اليافعين والشباب ممّن تتوافر لهم فرصة الوصول إلى الإنترنت في الدوافع الباعثة على الهجرة وفي الأفواج المتدفقة منها. فقد سَهّلت شبكة الإنترنت على الذكور والإناث من الشباب في المنطقة عملية الاتّصال والتواصل مع الشباب في الخارج . واشتمل هذا التسهيل على تقوية

الروابط مع أفراد الأُسر المهاجرين، مِمّا بسّط بدوره عملية العثور على المعلومات الخاصة بالهجرة عن كل بلد بعينه من الموارد الرسمية للمعلومات ومن غيرها، الأمر الذي زوّدهم بالمزيد من المساحة للبحث عن فرصٍ خارج بلدانهم، كالبعثات الدراسية مثلاً.

ويُؤدّي النّقص العام في فرص العمل إلى وجود عدد متنام من الشباب في البلدان العربية مِمّن يتبنّون الهجرة من أجل العمل كاستّراتجية لكسب العيش والرّزق. فلا تقتصرُ البطالة على غير المتعلمين. ولا تستوعبُ سوق العمل بسهولة الشبابَ المتعلمين، بمن فيهم حملة الدرجات الجامعية، رغم ما لديهم من مؤهلات، وهم يبحثون عن حلول لذلك خارج بلدانهم. وقد جذبت البلدان المُنتجة للنفط بمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا العمال المهاجرين بالمنطقة منذ عقد الثمانينيات، ومُعظمهم من الذكور الشباب؛ وذلك راجعٌ إلى اقتصادات تلك البلدان التي تشهد طفرةً نفطية، وإلى حاجتها إلى العمال المَهَرَة وغير المهرة.

وأظهرت دراسةٌ أُجريت في لبنان بأنّ الشباب يستمرُّ في الهجرة بسبب عدم الاستقرار ونقص الفرص. إذْ رَغِبَ ٤٧ في المئة من الشباب اللبنانيين في الهجرة من أجل تحقيق تقدّم على صعيد المهنة، و ٣٢ في المئة من أجل الحصول على راتب أفضل (مكنزي ٢٠٠٥، صفحة ٤٣). وقد تبنّت بعض البلدان، مثل مصر والمغرب وتونس واليمن، سياسات تُشجّع على الهجرة كجزء من استراتيجياتها الوطنية، مع أن سياسات إدماج المهاجرين غير موجودة في العالم العربي، وبخاصة إدماج العمال العرب الآخرين.

وخَلُصَت الإسكوا في تقرير لها في عام ٢٠٠٩ إلى أنّ الهجرة بدافع التعليم هي إحدى الجوانب المهمة من هجرة الشباب في البلدان العربية. وتُوفّر مصرُ لنا صورةً واضحةً للتحصيل التعليمي للمهاجرين. فمعظم المهاجرين المصريين الشباب هم من أنصاف المَهَرة والمهرة الذكور مِمّن يهاجرون من دون أن تُرافقهم أُسرهم، بنيّة العودة إلى مصر بعد بضع سنين من العمل خارج مصر. وبصورة عامة، فإنّ الشباب في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا يختارون الهجرة بدافع التعليم بسبب سلسلة من العوامل الدافعة إلى ذلك، بما فيها عدم الرّضا عن الفرص التعليمية داخل بلدانهم أو عن المستوى الكلي لنوعية التعليم، وعن احتمالية مواجهة سوق عمل محدودة غير قادرة على توفير فرص عمل نوعية كافية، والرغبة في متابعة التّقدّم على مستوى المهنة، وتحقيق الذات مهنياً خارج البلاد.

للعوامل السياسية أثرٌ رئيسٌ على ديناميكيات الهجرة والأفواج المتدفّقة من المهاجرين في المنطقة. وتُسهمُ الضغوط المترتبة على بلدان منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، من حيثُ الحروب الأهلية، والنزاعات، والأوضاع الطارئة، وعدم الاستقرار السياسي، في بلدان مثل العراق، ولبنان، والجزائر، والسودان والأرض الفلسطينية المحتلة، .. تُسهم كُلّها في زيادة نطاق الهجرة داخل المنطقة وعبر المناطق، حيث يسعى الناس من جميع الأعمار وراء اللجوء والأمن في مكان آخر غير بلدانهم.

© Mohamad Chehimi

وبناءً على ذلك فإنّ الهجرة تكون الخيار الوحيد المتاح في حالات النزاع أمام المهاجرين، لكي يضمنوا أمنهم. ويسعى اليافعون والكبار الراشدون من الشباب، سواءٌ أكانوا مصحوبين بأفراد أُسَرهم أو فُرادى، وراء مخرج من العنف والأوضاع التي يُحتمل أن تكون مُهدِّدة للحياة، بوسائل مشروعة وغير مشروعة.

الإيجابيات والسلبيات؟ المحاسن والمساوئ:

في الجانب الإيجابي، الهجرةُ تُخفّضُ البِطالة في الوطن، وتُدِرُّ التحويلات التي تُرسَل إلى اقتصاد الوطن، وتُفسحُ المجال أمام الشّباب لكسب الخبرات المهنية القيّمة، وتُخفّض التّوترات الاجتماعية والسياسية، وتسمح للمهاجرين العائدين إلى طرق أبواب شبكة من جهات الاتّصال المهنية التي ربما يكونون قد أحدثوها في الخارج. وفي الجانب السلبي، فقد يترتّب على الهجرة ما يُسمى اصطلاحاً بتعبير "هجرة الأدمغة"، وخفض الإنتاجية على المستوى الوطني. وتنقلُ الهجرةُ في غالب الأحيان الشباب من بيئة اجتماعية تضمّ الأسرة والأصدقاء، ويُمكنها أنْ تُعرّض الشباب إلى خطر الاستغلال و/أو الإساءة، وتؤدي إلى مستوىً من التعريض لمخاطر من المشكلات الصحية أكبر.

ويُمكنُ المُحاججةُ بالقول بأنّ تحويلات المُغتربين من أكثر المنافع الاقتصادية الملموسة للهجرة الدولية. ووفقاً للبنك الدولي، فإنّ التحويلات من المُرجّح بصورة خاصة أن تكون أعلى عندما يكون المهاجرون شباباً وغير متزوجين، وزوجاتهم باقيات وراءهم في أوطانهم (البنك الدولي ٢٠٠٧، صفحة ٤١). وتَرسمُ الأبحاثُ في مصر صورةً مُعَقّدةً لأثر التحويلات على الذكور الشباب، وتُبيّنُ أنّ التّحويلات تُعزّز انتظام الذكور، ممّن هم في سنّ الالتحاق بالجامعات ١٩ – ٢١ عاماً على مقاعد الكليات والجامعات، ولكنها تزيد عبء العمل المنزلي للذكور أيضاً، ممن هم في الفئة العمرية ١٥ – ١٧ عاماً، في الأسر المعيشية للمهاجرين (أسعد ٢٠١٠، صفحة ٣٧).

كذلك يُمكن المُحاجَجَةُ بأنّ المهاجرين يؤدُّون دوراً أساسياً في نقل أشكال مختلفة من التّحويلات الاجتماعية الطابع عبر الحدود، ومنها على سبيل المثال الأفكار، والسلوكات، والبنى القيميّة، والهويات التي تتدفّق من البلدان المتلقيّة (المستوردة) إلى البلدان المُرسلة (المُصدِّرة) للمهاجرين، والتي تُنْقَلُ هي الأخرى مع التحويلات النقدية. وتستطيع هذه التحويلات الاجتماعية الطابع أيضاً أن تلعبَ دوراً مهمّاً في التّطورات الكلية لعقلية الأطفال واليافعين والشباب المهاجرين في الوطن، مما يؤثّر على طموحاتهم المستقبلية، وربما حتّى إعدادَهم لكي يُصبحوا هم أنفسهم أيضاً مهاجرين في المستقبل.

وتشرح ظاهرةُ "هجرة الأدمغة" المعقّدة سلسلة من عوامل الدفع (على سبيل المثال نقص الفرص، البِطالة، والتشغيل دون المستوى المطلوب) وعوامل الجذب (نقص الأيدي العاملة في الخارج، والأجور الأعلى) التي تَحْفِزُ صغار المهنيين إلى الهجرة.

وتوحي التقديرات الواردة من البنك الدولي بأنّ دول المغرب العربي ولبنان تتأثّر بصورة خاصة بهجرة الشباب ذوي المهارات العالية والتي تُمثّل هَدْراً وعدم كفاءة في النفقات الاجتماعية الوطنية، وبالتالي، يُمكن أن تُلحق الضرر بالتّطور الاجتماعي الاقتصادي والسياسي للبلدان المُرسلة للمهاجرين؛ لأنّ هؤلاء الشباب هم في السنوات الأكثر إنتاجيةً في حياتهم (البنك الدولي ٢٠٠٧، صفحة ٤١).

ويُشارك عددٌ كبيرٌ من الأطفال، واليافعين والشباب في الهجرة، ويتأثّروا منها، بطرائق عديدة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. ولكنّ، ما تزالُ تُوجدُ معرفةٌ ضئيلة بآثار الهجرة على اليافعين والشباب الأكبر سنّاً، والذين يُتْرَكون خلف والديهم المهاجرين. إذْ يُمكنُ أن تؤدّي هجرة الوالدين إلى مشكلات نفسية، وإلى المُخاطرة في إعمال حقوق اليافعين والشباب، وتَراجع في الحماية الاجتماعية والقانونية، وخطورة أعلى من حيث حدوث الإساءة والاستغلال ووصمة العار من جانب المجتمع، وعدم الاستقرار الأسري أو حتّى تفكّك الأسرة.

سوف تكونُ الهجرةُ دائماً ظاهرةً طبيعيةً في العالم العربي عند الأخذ بعين الاعتبار التّفاوتات في أعداد السكان، والموارد الطبيعية، والظروف السياسية، والتنمية الاقتصادية وحاجات سوق العمل في كل أرجاء المنطقة. ويجب أنْ تكون عمليةُ إدارة الهجرة بطريقة أكثر كفاءةً هدفاً يحظى بأولوية عليا لراسمي السياسات العربية؛ وذلك لكي تتمخّض عن نتائج يكون فيها المهاجرون، وأوطانهم والبلدان المستضيفة لهم كلهم رابحين.

المراجع الرئيسية:

١. أسعد، رجوي. أثر الهجرة على الذين تُركوا خلف والديهم المهاجرين: دليلٌ من مصر. معهد الشرق الأوسط، ٢٠١٠.
٢. البدوي، أسماء. "الطموحات الخاصة بالهجرة في أوساط الشباب في مصر: من يستحق أن يهاجر ولماذا؟" علم السياسة والتنمية الاقتصادية، المؤتمر السنوي السابع عشر ERF. تركيا، آذار / مارس ٢٠١١.
٣. الإسكوا. الهجرة الدولية والتنمية في المنطقة العربية: تحدّيات وفُرص. تقرير السكان والتنمية – الإصدار الثالث، الإسكوا، ٢٠٠٧.
٤. Gallup Inc. Gallup World Poll. https://worldview.gallup.com/, Gallup Inc., 2011.
٥. Mckenzie, David J. Paper Walls are to Tear Down: Passport costs and legal barriers to emigration. World Bank Policy Research Working Paper, The World Bank, December 2005.
٦. معهد الشرق الأوسط. الهجرة والمشرق. معهد الشرق الأوسط، نيسان / أبريل ٢٠١٠.
٧. Mirkin, Barry. Population Levels, Trends and Policies in the Arab Region: Challenges and Opportunities. Arab Human Development Report, UNDP, 2010.
٨. The World Bank. Youth- An Undervalued Asset: Towards a new agenda in the Middle East and North Africa. The World Bank, September 2007.

الفصل – ٨: الشباب في أوضاع

العنف والنزاع المسلح

قائد فريـــق المؤلفـــين: لِيه بايبَس و تيم جاكوبي.

المُســـــاهمـــــــون: قطب، سايسي فولك و رامي ج. خوري.

الاستنتاجات الأساسية:

من الممكن أنْ يجد اليافعون، الذين يمرُّون في حالة عُمُرية انتقالية من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الكبار الراشدين، أنفسَهم من دون الحماية أو العناية التي تُوفّرها لهم مرحلة "الطفولة". وربما يكونون بصفة خاصة عُرضةً للاستقطاب مباشرةً من جانب الأطراف المُسلّحة للدخول في براثن النزاعات كمقاتلين، أو يكونون خاضعين لأشكال من الإساءة والاستغلال والعنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي، ولا سيّما في البيئات التي يُعْتَمَدُ فيها الاغتصابُ كواحد من تكتيكات الحرب، الأمر الذي يزيد معه التّعرّض للإصابة بفيروس نقص المناعة البشري والأشكال الأخرى من الإساءة والاستغلال (اليونيسف ٢٠٠٩).

يفتقر الكثيرُ من الحكومات في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا إلى القدرة على توفير الحماية للأطفال، أو على جَلْب أولئك المسؤولين عن انتهاك حقوق الأطفال إلى العدالة. ويتطلّبُ خفضُ مخاطر النّزاعات الالتزامَ من جانب الدول بمعالجة الأسباب الجذرية للنّزاعات والانهماك في اتّخاذ التدابير الوقائية قبل اندلاع التّوترات. ونتيجةً لذلك، فإنّ قدرةَ اليافعين والشباب على الإسهام بإيجابية في تدخلات إعادة الإعمار والتنمية طويلة الأمد بعد انتهاء النزاع غالباً ما يتمُّ تجاهلها، الأمر الذي يعمل على الحدّ من ديمومة السلام (اليونيسف ٢٠٠٩، الصفحات ٣ – ٨).
ويَتّحِدُ عاملُ الزيادة البارزة في أعداد اليافعين والشباب في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، إضافة إلى ما تمتلكه المنطقة من العوامل الأخرى من ثروات الموارد الطبيعية، وتاريخ من النزاعات المُسلّحة، والأعداد الكبيرة من اللاجئين والنّازحين (أو "المشرّدين" أو "المهجّرين") داخل أوطانهم، وانخفاض مستوى المشاركة المدنية، والإقصاء السياسي، وضعف الحماية الاجتماعية، وكِبَر حجم الاقتصاد غير الرسمي، وأنظمة الحوكمة الضعيفة، .. تَتّحِدُ هذه العوامل كلّها من أجل إيقاد فتيل التوترات، والنزاع والاضطرابات المدنية. ووفقاً لتقديرات الأمم المتحدة، فإنّ أحداث العنف الأخيرة والمستمرة في تونس، ومصر، واليمن، وسوريا، وليبيا والسودان قد اندلعت نتيجة لعوامل الضغط هذه.

ينمو الأطفال واليافعون العرب في مناطق النزاع داخل منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ويَكبُرون والخوف ينتابهم يومياً بأنهم سوف يُقتلون. ووفقاً لمنظمة إنقاذ الطفولة "Save the Children"، فإنّ المدنيين يُشكّلون في الوقت الحاضر أكثر من ٩٠ في المئة من الإصابات النّاجمة عن النزاعات المُسلّحة، وإنّ حوالي نصف هؤلاء هُم من الأطفال الذين يُستَخْدَمون، ويُتلاعَبُ بهم ويُقتَلون، بصورة مطّردة، باسم الحرب، وذلك من جانب الحكومات، والمليشيات المُسَلّحة والعصابات الإجرامية (منظمة إنقاذ الطفولة – المملكة المتحدة، ٢٠١٠).

ومع أنّ معدلات الوفيات في صفوف اليافعين والشباب آخذةٌ في التّراجع، بصفة عامة، في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، إلا أنّ البيانات المُتوافرة تُبيّن بوضوح بأنّ الحالة في المناطق التي كانت وما تزال تشهد نزاعاً مسلحاً مستمراً هي على عكس ذلك. ففي العقد الممتدّ من عام ١٩٩٦ إلى عام ٢٠٠٦، على سبيل المثال، تُظهر البيانات المُستقاة من اليونيسف أنّ احتمالية أنْ يُتوفّى اليافعون والشباب في الفئة العمرية بين ١٠ سنوات و ٢٤ سنة قد ازدادت بنسبة ٣ في المئة في جيبوتي والسودان، وبنسبة ٢ في المئة في اليمن. ومِمّا لا يُثيرُ الدّهشة، أنّ هذه النسبة أعلى بكثير في العراق، إذ إنها تُقدّر بنَسبة ٨ في المئة (اليونيسف ٢٠٠٨).

ربما يكون اليافعون والشباب الفلسطينيون قد تَلقّوا العناية القصوى بين جميع اليافعين والشباب الذين عاشوا أوضاع النزاع في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا (سكمك "Sikimic" ٢٠١٠). ويَظلُّ وضع اليافعين والشباب الفلسطينيين في الأرض الفلسطينية المحتلة، بما فيها القدس الشرقية، خطيراً حيث يجدون أنفسهم عالقين في براثن العمليات العسكرية الإسرائيلية، والاقتحامات والمداهمات الإسرائيلية الأخرى في كل أرجاء هذا الإقليم، إضافةً إلى الصراع الشديد بين الفصائل الفلسطينية المتنافسة. ففي عام ٢٠٠٨، ذكرت الأمم المتحدة أنّ ٢٠٢ حالتي وفاة وإصابة قد حدثت في صفوف الفلسطينيين جرّاء حوادث مرتبطة بالمستوطنين، إضافةً إلى ٢٠٤ حالات في عام ٢٠٠٩ (منظمة إنقاذ الطفولة – المملكة المتحدة، ٢٠٠٩).

تُدمّر النزاعاتُ البنية التحتية الاجتماعية والمجتمعات، إذْ تفصلها عن الخدمات الأساسية والبيئات الحمائية التي تُمكّنُ اليافعين والشباب من صياغة حياتهم الخاصة. فقد دُمّرت وتَتَدَمّرُ المدارس في دول المنطقة، وأُجبر الكثير من تلك المدارس، ممّن بَقي مفتوحاً في فلسطين، والعراق والسودان، ويُجبرُ على تفعيل نظام الفترتين أو الثلاث فترات في الدّوام المدرسي، بهدف استيعاب الزيادة في أعداد الطلبة الوافدين من المدارس المُدمّرة. وتُوحي التقارير التي تتحدثُ عن معدلات وقوع الهجمات على المرافق التعليمية بأنّ العراق والأرض الفلسطينية المحتلة كانتا وما تزالان من بين المرافق الأشدّ تأثّراً بذلك التدمير على مدى السنوات الخمس الماضية. (أومالي "O'Malley" ، ٢٠٠٧).

لقد تأثّر اليافعون والشباب العراقيون ويتأثّرون، بصورة خاصة، بسبب ازدياد وتيرة الهجمات على المدارس والطلبة من جانب مرتكبي الجرائم العنفية وحالات القتل على أسس طائفية. ففي أواخر عام ٢٠٠٩، أعلن وزير التعليم العراقي أنّ انعدام الأمن قد حالَ دون بناء ما يزيد على ٤،٥٠٠ مدرسة إضافية كانت الحاجة تقتضيها لتوفير مستوى من التعليم يُلبّي حاجة جميع أطفال العراق، إذ أدّى العنف وفرض العقوبات الاقتصادية إلى حدوث انخفاض دراماتيكي في معدلات الالتحاق الصافية (صندوق منظمة إنقاذ الطفولة، ٢٠٠٨).

لقد كانت وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا) وما تزال المُزوّد الرئيسي للتعليم الأساسي للاجئين الفلسطينيين على مدى خمسة عقود تقريباً. وفي الأردن، تُقدّم الحكومة التعليم الثانوي للاجئين الفلسطينيين، وتُيسّر لإقامة المدارس الثانوية في مخيّمات اللاجئين. وأكثر من ٩٥ في المئة من الطلبة الفلسطينيين اللاجئين الذين يكملون تعليمهم ينتظمون على مقاعد التعليم الثانوي الحكومي. غَيْرَ أنّ اليافعين والشباب الفلسطينيين في المخيمات غير الرسمية لا يتمتّعون بصورة تامة بحقّهم في التعليم. أما سورية فهي تُوفّر التعليم الثانوي لليافعين والشباب الفلسطينيين بالأسس نفسها التي توفّر فيها التعليم للمواطنين السوريين، مع انتظام ٨٠ في المئة من هؤلاء اليافعين والشباب في المدارس الابتدائية / الأساسية التي ترعاها الأونروا قبل انتقالهم لإكمال التعليم الثانوي في المدارس الحكومية السورية. وفي المقابل، فإنّ أكثر من ٥ في المئة بقليل من الطلبة الفلسطينيين اللاجئين في لبنان يُقْبَلون في المدارس الثانوية العامة.

لقد كان ولا يزال للنزاع، والحصار، والقيود المفروضة على الحركة والتّنقّل وتحسين البنية التحتية على صحة اليافعين والشباب الفلسطينيين في الأرض الفلسطينية المحتلة. كذلك فقد كان وما يزال الحرمانُ من المرور، أو كانت التأخيراتُ على نقاط التفتيش تؤثّر تأثيراً كبير على حصول اليافعين والشباب الفلسطينيين على الرعاية والخدمات الطبية، التي تُهدّد على نحو خطير صحتهم البدنية. وقد أبرزت البيانات المتوافرة عن عام ٢٠٠٩ أنّ صحةَ الأطفال في بعض المجتمعات المحلية في الضفة الغربية كانت أسوأ بمقدار ضعفيْ أو خمسة أضعاف سوء المتوسطات المعروفة على المستوى الوطني، كما تقيسها مؤشرات الصحة الأساسية من مثل الطول المنخفض للطفل قياساً بعمره أو الوزن المنخفض للطفل قياساً بعمره.

ونَتيجةً لتدمير الخدمات الأساسية التي يُسبّبُها النّزاع، فقد أضحت المجتمعاتُ بمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا تعتمد على الإغاثة الإنسانية لتلبية حاجاتها الأساسية. ويُقدّرُ مكتبُ الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية أنّ نسبة ٧١ في المئة من السكان الغَزّيين تُركوا يعتمدون على الغوث الإنساني لكي يبقوا على قيد الحياة، ومعظمه يأتي على شكل مساعدات غذائية، بعد الغزو الإسرائيلي لقطاع غزة في عامي ٢٠٠٨ / ٢٠٠٩.

الإساءة، والاستغلال، والعنف الجنسي / العنف القائم على العنف الاجتماعي

لقد تعرّض اليافعون والشباب العرب في الجزائر، والسودان، والعراق والأرض الفلسطينية المحتلة لبعض أسوأ أنواع العنف السياسي. وترتبط هذه الأوضاع بصورة متكررة مع الأمثلة المتزايدة على العنف داخل البيوت / الأوطان، وارتفاع معدلات قبول العنف المنزلي والإساءة إلى الأطفال، واعتبار هذه الأفعال في أغلب الأحيان تافهةً. وتُدَمّرُ أثناء النزاع البيئاتُ الحمائية، وتُصبح الفتيات اليافعات والنساء الشابات أكثر عرضةً للاغتصاب، والعنف المنزلي، وجرائم القتل، والاستغلال الجنسي، والاتّجار، والإساءة الجنسية والبتر والتشويه.

وفي شمال العراق، يُعتَقَدُ أيضاً أنّ عَدَدَ جرائم القتل بدواعي الشرف في الإقليم الكردي قد ارتفع بعد الغزو – من ١٠٦ حالات قتل في عام ٢٠٠٥ إلى ٢٦٦ حالة في العام الذي يليه. وفي حين أنّ واقعات الإساءة والعنف آخذةٌ في الارتفاع، فإنّ تَوافُرَ الخدمات التي تُقدّمها الحكومة والمنظمات غير الحكومية، والتي من شأنها أنْ تقدّم في العادة الدعم الصحي والقانوني وأنواع الدعم الأخرى، قد قَلّت إلى حدّ كبير، تاركةً الحاجات البدنية والنفسية لليافعين والشباب العراقي مَن الجنسين غير مُلَبّاة. (وكالة الأخبار الأشورية الدولية – ٢٠٠٨).

تكون الفتيات اليافعات والنساء الشابات، المقيمات في مخيمات النّازحين داخل أوطانهن، عُرضَةً بصورة خاصة للاعتداءات الجنسية. ويُقدّر عددُ النساء والأطفال من سكان هذه المخيمات بحوالي ٨٠ في المئة. ولأنّ المخيمات أصبحت مُعَسْكَرةً بصورة مطّردة، فقد أضحى أيضاً الاغتصابُ وأشكال العنف الجنسي الأخرى التي تقع على النساء والفتيات أكثر انتشاراً من ذي قبل. وبينما تكون الفتيات اليافعات عرضةً للعنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي، فإنّ الفتيان اليافعين معرّضون بصورة خاصة إلى الاعتقال والاحتجاز على أيدي السلطات في مناطق النزاع.

الجنود الأطفال:

عندما يُصبح اليافعون والشباب مشرّدين عن حياتهم المعتادة، يُمكن أنْ يُجْذَبوا إلى القوة والمكانة التي تُرافق عملية الانضمام إلى الجماعات المُسلّحة (ICR ٢٠٠٩). وثَمّةَ مجموعةٌ ضخمةٌ من الصُّكوك الدولية يجريها تنفيذها لوقف استخدام الجنود الأطفال من جانب الحكومات والميليشيات سواءٌ بسواء، ولكنّ هذا الاستخدام مستمرٌ، ويُمكن في بعض الأحيان غضّ النظر عنه من جانب التّوجهات الثقافية المحلية (تحالف وقف استخدام الجنود الأطفال ٢٠٠٨، صفحة ٩). وفي تقاريره التي رفعها إلى مجلس الأمن بشأن الأطفال والنزاع المسلح، أدرجَ الأمينُ العام للأمم المتحدة، في قائمة، الأطراف التي جنّدت أو استخدمت الأطفال في أوضاع النزاعات المسلحة في ١٧ بلداً أو إقليماً خلال المدة ٢٠٠٢ إلى ٢٠٠٧، بما في ذلك السودان، واليمن، والعراق وإسرائيل/الأرض الفلسطينية المحتلة ضمن منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

وضمن منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، يتعرّض اليافعون والشباب العرب لخطورة خاصة داخل السودان. إذْ يُقَدّرُ مكتبُ اليونيسف في السودان بأنّ عدد الجنود الأطفال، الذين انخرطوا في نزاع دارفور، بلغ في عام ٢٠٠٨ حوالي ٦٠٠٠ جندي طفل، بعضُهم كان صغيراً في السنّ ويبلغ من العمر ١١ عاماً، إلى جانب وجود ٨،٠٠٠ جندي طفل آخر انخرطوا في النزاع المسلح في عموم السودان. إنّ ظاهرة الجنود الأطفال ليست مقتصرة على السودان بأيّ حال من الأحوال. ومما يبعثُ على القلق في الآونة الأخيرة في العراق، استخدامُ اليافعين والشباب العرب من جانب جماعات يُزْعَم بأنها مرتبطة بتنظيم القاعدة. وإضافةً إلى ذلك، فإنّ حوالي نصف المقاتلين في اليمن، ممّن انخرطوا في مصادمات قبلية عنيفة، كانوا قاصرين. ويُقدّر عدد اليافعين والشباب الذين استغلّتهم قبيلة الحوثيين اليمنية بحوالي ٤٠٢ يافعاً وشاباً، مع وجود حوالي ٢٨٢ جندياً طفلاً جنّدتهم الميليسشيات الموالية للحكومة منذ شهر آب / أغسطس ٢٠٠٩.

اللاجئون:

اللاجئون الفلسطينيون هم إحدى أكبر الجماعات السكانية في العالم، التي ليس لها دولة. فحوالي (٤،٥) مليون لاجئ فلسطيني مُسجّل لدى وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى، منهم (١،٣) مليون فلسطيني يعيشون في ٥٨ مخيّماً في الأردن، ولبنان، والضفة الغربية، وقطاع غزة وسورية. إنّ الحياة في هذه المخيّمات مُجهدةٌ وخطيرةٌ. وقد أعربت وتُعرب هيئات دولية تصون وترصد حقوق الإنسان عن قلقها بشأن ظروف الحياة اليومية لليافعين والشباب الفلسطينيين، الذين يعيش جزءٌ كبير منهم دون خط الفقر، وهم يفتقرون إلى إمكانية الحصول على خدمات إسكانية، وصحية وتعليمية تلبّي حاجاتهم، وهم خاضعون لقيود شديدة تتعلّق بحركتهم وتنقّلهم من داخل تلك المخيمات وإليها.

تُوجَدُ فُرَصٌ ضئيلةٌ جداً للتشغيل بالنسبة إلى اليافعين والشباب الفلسطينيين الذين ينمون ويكبرون داخل هذه المخيمات؛ وذلك لأنّ وضعهم كلاجئين يمنعهم من الحصول على فرص للعمل أو الاستفادة من الضمان الاجتماعي. وقد أثّرت وتُؤثّر سَلباً هذه القيود وغيرها، ومنها القيود المفروضة على الحق في تكوين الجمعيات والمشاركة السياسية، أو الاحتجاز التّعسفي، على نوعية حياة اليافعين والشباب الفلسطينيين، الذين ارتبط الكثير منهم بممارسة سلوكات عالية الخطورة من أجل البقاء على قيد الحياة.

© UNICEF Sudan

ووفقاً للتقديرات الحالية التي وضعتها المفوّضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، فإنّ ما بين ٤٥٠،٠٠٠ و ٥٠٠،٠٠٠ عراقي يعيشون في الأردن – حوالي ٣١،٠٠٠ شخص منهم مسجّلين كلاجئين، مع وجود ١٥١،٠٠٠ عراقي آخر مسجلين كلاجئين أيضاً في سورية. وقد دخل الكثير من هؤلاء العراقيين إلى الأردن بطريقة غير مشروعة، الأمر الذي وضعهم في نزاع مع السلطات المحلية، وجعلهم يُتْرَكون في وضع يعجزون فيه عن الوصول إلى الخدمات الأساسية. وبالنسبة إلى العديد من العراقيين، فإنّ عدم قدرتهم على الوصول إلى/الحصول على الخدمات التي تقدمها المنظمات غير الحكومية والخدمات الحكومية يعني أنهم أكثر عرضةً للعنف والاستغلال. وقد وضع ارتفاع عدد اللاجئين العراقيين بمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا عبئاً ثقيلاً على كاهل الدول المُضيفة لهم، مثل الأردن وسورية.

وقد أدّى العنف المستمر في الصومال إلى وجود ٦٧٨،٠٠٠ لاجئ تقريباً يسعون إلى الحصول على اللجوء في المدن داخل البلدان المجاورة بحلول عام ٢٠٠٩. فقد استضافت جيبوتي واليمن ٣،٧٠٠ و ٣٢،٠٠٠ لاجئ صومالي، على التوالي في عام ٢٠٠٩، مما رفع عدد اللاجئين الموجودين أصلاً في تلك الدولتين، والبالغ عددهم ١٤،٠٠٠ و ١٧٠،٠٠٠ لاجئ على التوالي (المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين ٢٠١٠). وفي حين أنّ العديد من هؤلاء اللاجئين قد أصبح معتمداً على نفسه، يُعاني الآخرون من مضايقات الشرطة، والاعتقال والاحتجاز العشوائيين، والإعادة القسرية إلى أوطانهم.

الألغامُ الأرضية، الاعتدة الحربية غير المنفجرة، الأسلحة الصغيرة والأسلحة الخفيفة:

يُشكّلُ الأطفالُ تقريباً ثُلث جميع حالات الإصابة الناجمة عن الألغام والبقايا المتفجّرة من الحروب، و ٤٦ في المئة من جميع الإصابات المدنية. وفي محاولة لحماية أفراد الأسر والممتلكات، يحمل اليافعون والشباب السلاح، في كثير من الأحيان، لحلّ الخلافات على صعيد المجتمع المحلي، مما يُسهم في وجود دوائر محلية من عدم الاستقرار تستمر في إلحاق الأضرار بحياتهم. وبالنسبة إلى النّساء الشابات والفتيات المراهقات، فإنّ حالات انعدام التّوازن الثقافي تتركهم عرضةً للعنف القائم على النوع الاجتماعي، إذ ربما يستخدم الرجال ما يتوافر لهم من الأسلحة الصغيرة للتعبير عن قوّتهم.

وتُمثّلُ الألغامُ الأرضية والبقايا المتفجرة من الحروب تهديداً كبيراً لليافعين والشباب العراقيين، في ظلّ وجود ٤،٠٠٠ جزء من الأراضي العراقية مُلوّثاً بها، مما يجعل العراق من أخطر البلدان في العالم. وفي جنوب لبنان، ترك استخدامُ إسرائيل، الواسع النطاق وغير المسبوق، القنابلَ العنقودية، أثناء النزاع المسلح في عام ٢٠٠٦، ما مجموعه ٣٧ مليون متر مربع من الأراضي اللبنانية ملوّثة تلوّثاً شديداً بتلك المُخلّفات، مع وجود حوالي مليون قطعة ذخيرة غير منفجرة يُمكنها أن تُلحق الإصابة بالأطفال واليافعين والشباب.

التّعافي النفسي وإعادة الإدماج الاجتماعي:

نتيجةً للنزاعات في المنطقة، فإنّ اليافعين والشباب العرب يُجبَرون في كثير من الأحيان على أن يضطّلعوا بمسؤوليات الكبار الراشدين، فيعتنون بأفراد الأسرة الآخرين ويُعيلونهم أو يُجَنّدوا لكي يُقاتلوا. وهذا يُسبب لهم آثاراً نفسيةً، وغالباً ما يُعانون من مشكلات بدنية وسلوكية، وعواقب تستمر معهم عندما يُصبحون كباراً راشدين. لقد تأثّر اليافعون والشباب العرب ويتأثّرون جسدياً وعقلياً بعقود من النزاع والعنف السياسي، وبخاصة في لبنان، والعراق، واليمن، والسودان والأرض الفلسطينية المحتلة.

وبينما عملت النّزاعات المُسلّحة على جَرّ أعداد كبيرة من الجنود الأطفال إلى براثنها، اشتملت جهود بناء السلام على نزع السلاح من هؤلاء الأطفال واليافعين، وتسريحهم، وإعادة إدماجهم في الحياة المجتمعية المحلية كجزء من منع وقوع المزيد من دوائر العنف (الأمين العام للأمم المتحدة ٢٠٠٧). وبالنسبة إلى الفتيات اليافعات، فإنّ وصمة العار الاجتماعية المُرتبطة بالإساءة الجنسية إليهنّ قد أدّت في بعض الأحيان إلى رفض أفراد أُسرهنّ ومجتمعاتهنّ عودتهنّ إليهم، الأمر الذي تركهنّ غير قادرات على الزواج، ووضعهنّ في مواجهة الفقر طوال الحياة.

ومع ذلك، من المُهمّ جداً أن لا نُصنّف الأطفال واليافعين والشباب، ببساطة، بتعبير "ضحايا". فهذا النّهج في التصنيف يُجرّدَهم من قوّتهم ويُقلّل إلى الحدّ الأدنى من أثر استجابتهم الخاصة للنزاع والعنف داخل المنطقة. وبصفتهم أحد القطاعات السكانية الأكثر ديناميكية بمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، فإنّ اليافعين والشباب يُمكن أن يكونوا عوامل للتغيير فيما لو جرى تمكينهم من المشاركة في إيجاد حلول للنزاع، وبناء السلام، وإعادة إعمار المجتمعات عقب انتهاء النّزاع.

وبما أنّ اليافعين والشباب يُشكّلون أكثر من نصف سكان منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا فإنّهم بناءً على ذلك يجب أن يكونوا عنصراً محورياً في أية جهود وطنية وإقليمية لخلق سلام وأمن دائمين وصونهما.

يُوجَدُ العديدُ من العوائق الهيكلية والمؤسسية التي تَحولُ دون تحقيق طاقات اليافعين والشباب في بناء السلام. غَيْرَ أنّ اليافعين والشباب، وبخاصة الرجال الشباب منهم، يُنظر إليهم في كثير من الأحيان بأنّهم أحد المؤثّرات النّازعة للاستقرار، في منطقة تميل فيها الأعراف الثقافية إلى إقصاء اليافعين والشباب من عمليات صنع القرار. ويُمكن للقلق بشأن توفير الحماية للأطفال في أوضاع النّزاع المُسلّح أنْ يعني أيضاً أنّ مشاركتهم في بناء السلام يَنظُرُ إليها البعضُ بأنّها مخاطرةٌ غير ضرورية للأطفال. وفي الوقت ذاته، ثمّةَ اعتراف متنام بالحاجة إلى التفاعل مع الأطفال واليافعين والشباب كمشاركين داخل مشروعات وبرامج بعينها، وكذلك في الأبعاد المختلفة لحياتهم اليومية — المنزلية، والتعليمية، والاقتصادية، والثقافية والسياسية.

المراجع الأساسية:

١. **تحالف وقف استخدام الجنود الأطفال. الأطفال الجنود - التقرير العالمي. تحالف وقف استخدام الجنود الأطفال. ٢٠٠٨.**

٢ ICRC. Children in War. International Committee of the Red Cross, 2009.

٣ O'Malley, Brendan. Education under Attack: A global study on targeted political and military violence again education staff, students, teachers, union and government officials, and insitutions. Paris: UNESCO, 2007.

٤ Save the Children Fund. Child Rights Situation Analysis for the Middle East and North Africa Region. Sweden: Save the Children Fund, 2008.

٥ Save the Children UK. The Future is Now Education for Children in Countries Affected by Conflict. Save the Children UK, 2010.

٦ UNHCR. 2009 Global Trends: Refugees, Asylum-Seekers, Returnees, Internally Displaced and Stateless Persons. UNHCR, 2010.

٧ **يونيسف. دراسة ميشيل - مراجعة استراتيجية بعد مضي ١٠ سنوات: الأطفال والنزاع في عالم متغيّر. مكتب الممثّل الخاص للأمين العام للأطفال والنزاع المسلّح بالتعاون مع اليونيسف. ٢٠٠٩.**

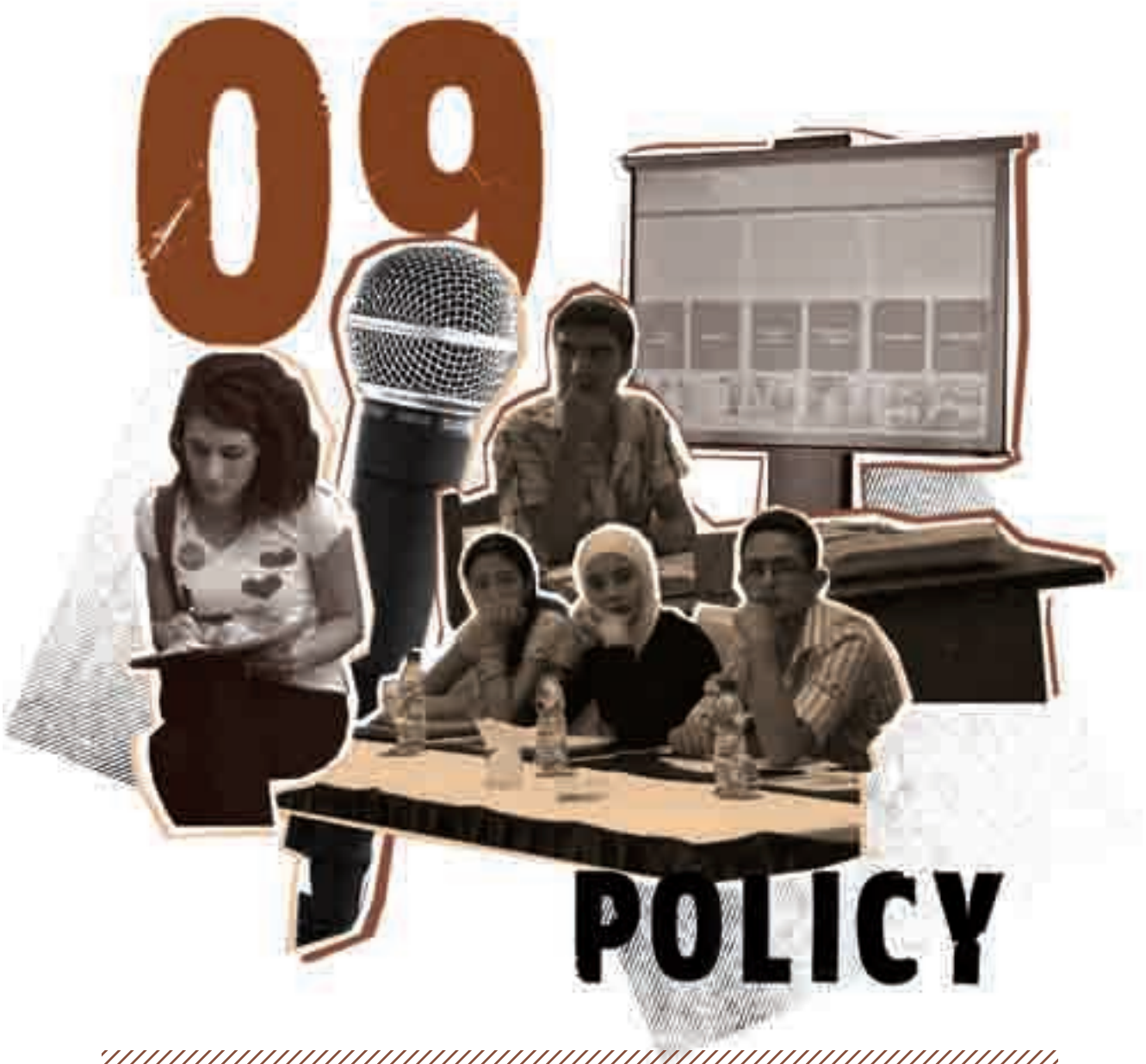

الفصل – ٩: السياسات الوطنية للشباب في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا

قائدتا فريق المُؤلّفين: زينه صواف و منيرة حب الله.

المُســـــاهمـــــــــون: زافيريس تزاناتوس و كامل نابلسي.

الاستنتاجات الأساسية:

لقد كان وما يزال العديد من الدول العربية يَنشَطُ في عملية صياغة استراتيجيات وطنية للشباب، بهدف أن تضع تلك الاستراتيجيات قضايا الشباب على الأجندات العامة للدول لأول مرة في تاريخها، ولكي تضع اليافعين والشباب في صُلب عمليات التنمية الوطنية. وبالرّغم من أنّ عملية صياغة السياسات قد ولّدَت اهتماماً كبيراً بظروف اليافعين والشباب في العالم العربي وبحقوقهم وواجباتهم، فإنّ السياسات الوطنية للشباب / الاستراتيجيات الوطنية للشباب لا تُوفّرُ لها الظروف اللازمة للتطبيق الواقعي مع توافر الموازنات المناظرة لذلك. وكذلك فإنّ للسياسات الوطنية للشباب أهميةً بالغةً لأنّها تُمثّل نقطة التّلاقي بين ظروف اليافعين والشباب وحاجاتهم، وتصوّرات المجتمع لهم، والأعراف والبرامج العربية والدولية ذات العلاقة باليافعين والشباب.

وتعتمد الفُرُصُ والمنافع المُحتملُ توفيرها لليافعين والشباب ورفاههم في المنطقة على تطبيق البرامج والسياسات الواقعية من جانب الحكومات التي يُمكنها كذلك التّعاون مع القطاع الخاص والمجتمع المدني. وبإمكان السياسات المعنية بالشباب، ذات الصلة بهم والمستدامة، أنْ تُفسحَ المجال للشباب لأنْ يقودوا حياةً مُرْضِيَةً لهم، ولأنْ يُسهموا بإيجابية في التنمية الوطنية لبلدانهم.

ويُمكِنُ أن تكون السياساتُ والبرامجُ الوطنية الضعيفة المعنية بالشباب ثمرةَ عددٍ من القيود، بما فيها: غياب الإرادة السياسية الكافية والمناصرة الفعّالة، ونقص المعلومات المتوافرة التي تُبنى على أساسها السياسات والبرامج الواقعية، ونقص الثّقة في الحكومات الوطنية والفساد الواسع الانتشار. وفي كثير من الحالات، لا يأخذ الشباب حكوماتهم على محمل الجد، ولا تنظر الحكومات بجدّيّة إلى هذا القطاع من السكان.

على المستوى القُطري، فقد كان الأردنُ والبحرين أولّ دولتين في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا تضعان إطاراً وطنياً خاصّاً بالشباب من أجل القيام بعمل يشمل كل القطاعات في المستقبل. أما لبنانُ فهو مُقَيّدٌ بالضغوطات السياسية التي يشهدها بصورة متكررة، وكان وما يزال غير قادر على تفعيل استراتيجية وطنية كاملة تُعنى بالشباب. وقد كانت لدى مصر وتونس سياساتٌ حزبية خاصة بالشباب لا تتوافق مع وسائل تطبيق تلك السياسات. وقد بذلت سوريةُ محاولات في الآونة الأخيرة لتحويل السياسة الوطنية التي تُعنى بالشباب من جهود يبذلها حزبٌ تابع للدولة إلى جهد تنموي للشباب غير مُسَيّس. وبينما أخذت مصر في بلورة مسوّدة سياسة وطنية للشباب، فقد صَمّمَت وزارةُ الشباب والرياضة سياسةً وطنية للشباب في فلسطين (٢٠٠٤) من خلال نهج تشاركيّ يهدف إلى إدماج قضايا الشباب في استراتيجية التقدّم لدى فلسطين. وأمّا اليمن فلديه رؤيته الخاصة بالسياسة الوطنية للشباب (٢٠٠٦ – ٢٠١٥)، تهدف إلى بناء مجتمع تتوافر فيه الحماية لكل أبناء اليمن من الأطفال والشباب والشّابات، وتقدير قيمتهم واحترامهم بسبب إسهاماتهم وإبداعاتهم الفريدة من نوعها.

مشاركةُ الشباب في صياغة السياسة الوطنية للشباب أمرٌ بالغ الأهمية للسياسات الشبابية الناجحة. إذْ لا بُدّ من استيعاب هموم الشباب واستهدافها بطريقة ناجعة، كما لا بُدّ من تمكين اليافعين والشباب لكي يجعلوا أصواتهم تُسْمَع. ولكنّ اليافعين والشباب في المنطقة غالباً ما كانوا يُكْتَمونَ أو يُتَجاهَلون حتى عهدٍ قريب، وتبقى المنافذُ العامة المُتاحة لهم للتعبير عن وجهات نظرهم بيئاتٍ خاضعةً للتّحكّم فيها بحذر.

مفاهيمُ السياسات المرتبطة بالشباب وصياغةُ السياسات الوطنية للشباب / الاستراتيجيات الوطنية للشباب كلاهما تطوّران مُستجدّان – يفتقر الكثير من البلدان العربية إلى التّجربة اللازمة لتطوير البنى / الهيكليات، والأساليب الضرورية، ولتخصيص الموارد اللازمة لدعم مشاركة الشباب. ونظراً لأنّ مشاركةَ الشباب ظاهرةٌ جديدة، فإنّ الكثير من المبادرات لم تكن، وهي لا تزال غير قادرة على إدراج مستويات مختلفة من مشاركة الشباب، بما في ذلك الأبعاد الرأسية (الهيكلية والتنظيمية) والأفقية (بما يشمل مختلف أنواع تمثيل الشباب).

حتّى بعد تحديد وإطلاق السياسات الوطنية للشباب، يُواجِهُ الدولَ العربية والمجتمعات العربية عددٌ من التحديات في التّطبيق الناجح لمثل هذه الاستراتيجيات. ومن بين التحديات الأساسية: نقص الأموال الكافية لأجندات الدول الخاصة بالسياسات الوطنية للشباب / بالاستراتيجيات الوطنية للشباب، وعدم كفاية الالتزامات السياسة وعدم مشاركة أصحاب المصلحة المعنيين، والافتقار إلى بناء القدرات ومشكلات تطبيق الاستراتيجية بعد تعريفها. ففي الأردن، على سبيل المثال، لم يُنظر في آليات التطبيق بصورة كافية أثناء عملية صياغة السياسية / الاستراتيجية الوطنية للشباب. أما في مملكة البحرين، فعلى الرّغم من تبيان بعض الهيكليات وآليات العمل في استراتيجيات الدولة، إلا أنّ تلك الاستراتيجيات لا تمتلك القدرات على ترسيخها وتيسير عملية التنسيق بين مختلف الوحدات والهيكليات والجهات المعنية داخل هذا البلد.

دراسة حالة:
تشغيلُ الشباب، ومهاراتُهم والاستثمار فيهم في المنطقة،
بقلم زافيريس تزاناتوس

للرابط بين التعليم والتشغيل بعضُ الخصائص المشتركة المهمّة في المنطقة. فمنذ أوائل عقد الستينيات من القرن الماضي، سجّلت المنطقة مكاسب جديرة بالاعتبار في توفير فرص الحصول على التعليم الرسمي. ومع التحاق عدد من الإناث يفوق عدد الذكور بالمدارس، وبخاصة في مستويات متتابعة من التعليم أعلى، فقد اختفت ببطء التفاوتات المرتبطة بالتعليم بين النوع الاجتماعي لغير صالح النّساء والفتيات. ونتيجةً لهذه التّقدّمات، فقد كانت وما تزال منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا قادرةً على تحقيق تحسين كبير في مستوى تعليم القراءة والكتابة، وتراجع جدير بالملاحظة في معدلات الخصوبة ووفيات الأطفال الرّضّع، إلى جانب حدوث زيادات سريعة في العمر المتوقّع عند الولادة. ومع ذلك، فإنّ المنطقة ما تزال متأثرة من نتائج التشغيل المنخفضة للباحثين عن وظيفة، وانخفاض الإنتاجية في موقع العمل، ولا سيّما بالنسبة إلى الشباب والشابات.

يجب توجيه التّحليل إلى مستوىً من الفهم أفضل للكيفية التي يُخصِّصُ الاقتصادُ بوساطتها الموارد، ويخلق الوظائف للجميع، وليس فقط لكيفية تعيين الشباب في وظائف. وثمة قضيتان ذواتا صلة بهذا الوضع: الأولى، أنّ نتائج سوق العمل تُحدّدها الطريقة التي يتفاعل بها أصحاب العمل والباحثون عن الوظائف مع الحوافز. والثانية، أنّ هناك نشاطات واستثمارات لا بُدّ من اتّباعها من منظور الأعمال ومن منظور اقتصادي أوسع نطاقاً، ولكن قد لا يكون لها أثر مباشر على التشغيل.

وتكون بطالةُ الشباب مرتفعةً عندما تكون البطالة مرتفعةً. وفي هكذا بيئة، فإنّ سياسات تشغيل مُحدّدة بعينها للشباب يُمكن أن تكونَ مرغوباً فيها أو غير فعّالة تماماً كتلك التي للكبار الرّاشدين. ويُمكنُ لبعض البرامج والمشروعات الشبابية أن تُقدّم المساعدة، فيما لو صُمِّمت ونُفّذت بصورة ملائمة، وقُيِّمت وعُدِّلت بصورة منتظمة.

ومن القيود الكبرى نقص البيانات والإحصاءات في المنطقة العربية. ولا يُفسحُ هذا النقص المجال أمام تحقيق فهم أفضل لخلق الفرص التّشغيلية – وبخاصة في القطاع الخاص أو من خلال الشراكات بين القطاعين العام والخاص. ويجب أن تكون السياسات والمبادرات المعنية بالشباب، والتي تُنفّذها المنظمات الحكومية وغير الحكومية كليهما، مُغذّاة جيداً بالمعلومات، وأن تُرى قضية الشباب من خلال منظور أكبر، وأكثر دقةً للسياسات على المستوى الوطني، بما في ذلك سياسات التشغيل.

المراجع الرئيسة:

١. Assaad, Ragui, and Farzaneh Roudi-Fahimi. Youth in the Middle East and North Africa: Demographic opportunity or challenge? Population Reference Bureau, 2007.

٢. Demicheli, Frederica. Studies on Youth Policies in the Mediterranean Partner Countries: Syria, Morocco, Tunisia, Jordan, oPt, Algeria, Lebanon, Egypt. Euromed, EU, 2009.

٣. قبّاني، نادر، و إكتا كوثَري. تشغيل الشباب في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا: تقييم موقِفيّ. البنك الدولي، ٢٠٠٥

Creative Commons Attribution

Some photographs within this publication have been sourced through the image sharing website Flickr.com. In instances they have been used to form part of an illustration, their authors are credited below by their flickr usernames. Where available, their real names are also included.

All sourced images detailed below have been used under Creative Commons licensing.

Page Number	**flickr Username**	**Real Name**
P16	maggieosama	Maggie Osama
	andycarvin	Andy Carvin
	Kodak Agfa	Zeinab Mohamed
P31	taniasaiz	Tania Saiz
P35	dejahthoris	
	video4net	
P40	michaelimage	Michael Loadenthal
	marisseay	